الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

رحلة الحسين الورثيلاني

دراسة في المضامين و البناء الفني

مذكرة متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
وسيلة دبابي

إشراف الأستاذ:
د.عبد الحميد هيمة

لجنة المناقشة

أ.د هاجر مدقن	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
أ.د عبد الحميد هيمة	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا
أ.د أحمد بقار	جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1439/1438هـ الموافق 2018/2017 م

كلمة شكر

أبدأ بشكر الله عز و جل الذي وفقني في إنجاز هذا العمل

ثم أتقدم بالشكر الجزيل و التقدير الكبير للأستاذ المشرف "عبد الحميد هيمة" على قبوله الإشراف على مذكرتي هذه و على مساندته لي خلال إنجاز هذه الدراسة و حرصه على توجيهي.

كما أشكر لجنة المناقشة المحترمة و كل الأساتذة الذين تابعوني طيلة مشواري الدراسي ابتداء من المستوى الابتدائي وصولا إلى الجامعة . إلى كل طاقم كلية الأدب جامعة قاصدي مرباح من رئيس الجامعة إلى كافة العمال و إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد، و لو بكلمة لإتمام هذا العمل.

الإهداء

الحمد لله الذي أكرمني بفضله و أنار لي طريقي و دربي

لا يسعني هذا الموقف إلا أن أتقدم بإهداء ثمرة هذا العمل إلى من قال فيهما

المولى عز و جل

" ..... و بالوالدين إحسانا ....."

إلى الصدر الحنون التي كانت دوما تفتح ذراعيها لمواساتي إلى القلب الرحيم التي

تحملت و صبرت لأجل نجاحي و كانت لي منبع

صدق أمي و جعل قلبها دائما راضيا عني، و أطال الله في عمرها

إلى الذي علمني أن الحياة كفاح و نضال و أن النجاح سبيله التضحية

و الذي يخفي خطوط العذاب ليرى سعادتنا و نجاحنا و كان دوما خير

العون و السند لي أبي العزيز : أطال الله في عمره.

إلى إخوتي الأعزاء زهير، رميصاء، جنات. و إلى جدي وجدتي أدام الله لهما صحتهما

إلى روح خالتي رحمها الله و جعلها من أهل الجنة

إلى زملائي وزميلاتي

إلى كل عائلة دبابي.

وسيلة

المقدمة

عرف الإنسان الرحلة منذ عصور قديمة، و مارسها في عهوده الأولى كفعل طبيعي أنجز لظروف وأسباب معيشية مختلفة، ولعل أول رحلة قام بها الإنسان في تاريخه هي رحلة آدم وحواء من جنة الفردوس إلى الأرض، و في الأرض يبدأ الإنسان رحلته الطويلة بحثا عن المعرفة وتحقيقا لأحلامه، و طموحاته ومطالبه المادية و الروحية.

ولذلك يعد أدب الرحلة واحدا من أقدم أنواع الآداب، وهو الأكثر تشويقا واكتشافا للعالم، وقد لقي هذا الأدب اهتماما واضحا من العرب قديما ومن جميع الشعوب، إذ أن الرحلة تسجل جغرافيا المكان، و تصف الظروف التاريخية و الاجتماعية في حقبة زمنية معينة بشكل دقيق جدا وتعرض التفاصيل التي عاشها و عاصرها الرحالة خلال سفره، ومن هنا استمدت الرحلات متعتها حيث إن كل من يقرأ هذا الأدب يشعر بالمتعة الكبيرة ويجني فائدة عظيمة بالنظر إلى أنه يخوض تجربة الرحلة و يعيش أحداثها وهو في مكانه.

وتعد "رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"،" للحسين الورثيلاني" من أهم الرحلات في تراثنا الجزائري القديم ومن بين أكبر الأعمال التي أنجزها الورثيلاني في تاريخه، حيث جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج، مما جعلنا نسلط الضوء عليها ونخصص لها هذه الدراسة التي تحمل عنوان " رحلة الحسين الورثيلاني دراسة في المضامين والبناء الفني " للإجابة على الإشكالية التالية:

- ما هي المضامين التي حوتها هذه الرحلة ؟ وما هي خصائص هذه الرحلة من حيث البناء الفني ؟

انطلاقا من هذه الإشكالية تتشكل لدينا الأسئلة التالية:

- ما هو موضوع الرحلة ؟
- ما مدى اهتمام الورثيلاني بتسجيل مشاهداته في هذه الرحلة خاصة ما تعلق بالعمران والعادات و التقاليد ؟

و من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع:

1- أهمية فن الرحلة عند العرب في تصوير البلدان ونقل مختلف ثقافات وعادات الشعوب.
2- قلة الدراسات في مجال أدب الرحلة في الجزائر.
3- ما تحويه هذه الرحلة من مضامين و حقائق عن التواصل الحضاري والثقافي في البلاد العربية.

والهدف من هذه الدراسة هو تسجيل ما شاهده الحسين الورثيلاني في رحلته، والتعرف على الشيوخ و الأولياء الصالحين وتصوير المدن و الأماكن التي زارها خلال رحلته.

اعتمدت في هذا البحث الحديث عن خطة متمثلة في: تمهيد، و فصلين و خاتمة.

تمهيد: مدخل عام حول أدب الرحلة : مفهومه، أنواعه، خصائصه، أهم الرحلات الجزائرية.

الفصل الأول: مضامين رحلة الحسين الورثيلاني، التعريف بالرحلة الورثيلانية و صاحبها، وصف الآثار المادية في الرحلة (العمران)، ذكر الأولياء الصالحين و وصف الأضرحة، وصف العادات والتقاليد، وصف المدن و القرى .

أما الفصل الثاني المعنون بالبناء الفني لرحلة الحسين الورثيلاني فقد تحدثنا فيه عن لغة الرحلة، تداخل الأجناس في الرحلة: حضور الشعر في الرحلة، حضور القصة، حضور الأمثال والحكم.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فقد اعتمدت على آليتي الوصف والتحليل، التي تقتضي مني تتبع مضامين الرحلة و تحليل عناصرها بغية تقريبها من القارئ.

وبعد اختياري للموضوع و اطلاعي على الرحلة، و على ما تم إنجازه فيها، اكتشفت أن هناك دراسات سابقة لهذا الموضوع و لكنها قليلة جدا مما يقتضي مزيدا من تسليط الضوء حولها، ومن هذه الدراسات التي استفدت منها نذكر: " آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية" للباحثة" نادية مفاتيح" التي درست في الفصل الأول : الجانب النظري عتبات النص الرحلي، وفي الفصل الثاني : الجانب التطبيقي بنية السرد في الرحلة، الفصل الثالث : البنية الزمكانية في

الرحلة، وقد جعلت من هذه الدراسة منطلقا لي لكي أكمل بعض الجوانب التي لم تشر إليها الباحثة، ولذلك كان تركيزي على عنصر المضمون لأهميته في الكشف عن أهداف الرحلة والغرض من تأليفها، وفي البناء الفني سيكون تركيز على حضور لغة النص وكذا تداخل الفنون في الرحلة.

ومن المراجع التي اعتمدت عليها في دراستي :

- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 2.
- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب.
- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر.

وقد واجهتني خلال بحثي هذا بعض الصعوبات المتمثلة في قلة الدراسات في هذه الرحلة وصعوبة استغلال المراجع المتوفرة، وقد كان لأستاذي الدكتور عبد الحميد هيمة الفضل في تذليل هذه الصعوبات.

ولذلك فإنني أتوجه إليه بشكري الخالص على إشرافه وتوجيهاته الحكيمة كما أوجه شكري لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأوجه شكري لكل أساتذة وموظفي قسم اللغة والأدب العربي، والشكر لأعضاء لجنة المناقشة المحترمة، والشكر أولا وأخيرا لله تعالى على منه وتوفيقه والله من وراء القصد.

الطالبة وسيلة دبابي

ورقلة في 20 ماي 2018

تمهيد

مدخل عام حول الرحلة

1- الرحلة لغة و اصطلاحا

2- مفهوم أدب الرحلة

3- أنواع الرحلة

4- خصائص الرحلة

5- أهم الرحلات الجزائرية

1. الرحلة لغة و اصطلاحا

أ- الرحلة لغة :

لقيت الرحلة منذ القدم اهتماما واضحا من قبل الباحثين. وقد عرف المصطلح في مختلف المعاجم. وحظيَت بشرح كبير ومفصل في عدة معاجم نظرا لتداولها عند العرب كثيرا حيث يعرفها ابن المنظور في معجمه لسان العرب << الارتحال : الانتقال و هو. الرِّحْلة و الرُّحلة. و الرِّحْلة: اسم للارتحال للمسير. يقال : دَنَتْ رحلتنا . ورحل فلان وارتحل و تَرَحَّل بمعنى ... وفي الحديث: في نجابة ولا رُحلة، الرُّحلة، بالضم : القوة، والجودة أيضا، ويروي بالكسرة بمعنى الارتحال، وحكى اللِّحياني: إنه لذو رِحلة إلى الملوك و رُحلةٍ. وقال بعضهم : الرِّحلة الارتحال، والرُّحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول : أنتم رُحلتي أي الذين أَرتحِل إليهم >>.[1] وجاء أيضا في مقاييس اللغة لابن الفارس << (رحل) الراء والحاء و اللام أصل واحد يدل على مُضيٍّ في سفر. يقال : رَحَل يَرْحَل رِحْلَة . وجميل رحيل : ذو رُحْلة، إذا كان قويا على الرِّحلة. والرِّحلة: الارتحال>> [2] ومن هذا نستنتج أن على الرحالة يكون قويا ذا همة وتحمل لمشقة السفر جسديا (الصحة الجيدة) ونفسيا ; أي الرغبة في السفر.

ب- الرحلة اصطلاحا :

الرحلة هي أحداث سفرة عاشها وشاهدها الرحالة، ويتطلب منه أن يكون ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره و تدوينها.[3] والرحلة موضوع شيق وعميق فقد اختلف الأدباء في تحديد مفهوما لها فقد جاء في كتاب " الرحلة في الأدب العربي " " لشعيب حليفي" أن: <<البحث عن تحديد دقيق لمفهوم الرّحلة مأزق لابد منه لطرح الإشكال بطريقة جذرية. ... الأمر الذي يقود إلى الحديث عن الرحلة باعتبارها جنسا مؤطرا بعناصرها ومكوناتها من خلال الاشتراك بين

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مج 11، د الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة 1، 2003، ص333.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ج2 ،1979، ص 497.

[3] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، نوقشت بجامعة بسكرة 2015، ص8.

الرحلات في مجموعة من القيود المتغيرات >>[1]، فكل أديب قدم مفهوما معينا على ما صادفه في الحياة من حقائق، واكتشافات، و دراسات في شتى العلوم التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية والاقتصادية ... حيث قال "عيسى بخيتي" في كتابه " أدب الرحلة الجزائري الحديث ":<<المفهوم الاصطلاحي لكلمة " رحلة " فلا شك أن تعريفها متعذر الضبط >> [2]

وبعد تعريفنا للرحلة لغة و اصطلاحا يتضح لدينا، أن يجب على الرحالة تتوفر فيه شروط السفر، الصحة الجيدة وقدرة على التحمل وقوة المواجهة و الذاكرة الجيدة، والرحلة تكون لسد حاجيات الرحالة التي يفتقدها في المكان الذي ينتمي إليه

2- مفهوم أدب الرحلة

تكون أحداث الرحلة المكتوبة واقعية يرويها الرحالة نظرا لما مرّ به من أماكن، عادات وتقاليد، طبيعة ... و وصف حياة الشعوب من الجوانب الاجتماعية، الدينية، السياسية ... ويمكن أن يقسم أدب الرحلة إلى قسمين : الأدب، و الرحلة .[3]

فالأدب كل ما يكتب ويدون ويتناقل شفاهة عبر الأجيال، حيث ينقل الرحالة المشاهد والوقائع التي عاشها ويصفها، مع استعمال الأسلوب الفني، ومزجها بروح صاحب الرحلة وما يحمله من ثقافة وأفكار.

أما الرحلة فمن خلالها يتم ترجمة التنقلات والأفعال إلى تدوينها بشرط أن تكون حقيقية أو واقعية في أغلب الأحيان. والرحلة في كتاب " الرحلة في الأدب العربي لشعيب حليفي " تعد:

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، شركة الأمل للنشر و الطباعة، أبريل 2002، ص 40.

[2] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، د هومة، الجزائر، 2014، ص 16.

[3] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص 9.

<< نصا سرديا يتراوح بين قطبي الواقعي والخيالي بأسلوب يسجل ويصف رحلة انتقال السارد/ المؤلف من فضاء لآخر داخلي أو خارجي على المستوى الفعل >> [1]

وجاء في كتاب " الرحلة في الأدب العربي لناصر عبد الرزاق الموافي " << أن أدب الرحلة هو: مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد>> [2] وعادة ما يكون أدب الرحلة ذا علاقة بعلوم أخرى وهذا الذي يمنح << للرحلات قيمتان عظيمتان: قيمة علمية، وأخرى أدبية >>[3] .

وقد تنوعت طرق تدوين الرحلات عند العرب، فهناك من يدون أثناء رحلته وهذا بنسبة قليلة، وأكثرهم يحفظ ما شاهده في ذاكرته وعند وصوله واستقراره في مكان يدون ما مر به وما رآه وعاشه وقرأه من عادات و تقاليد سكان المنطقة، وخلفيتها السياسية والثقافية والاجتماعية ومواقف تأثر بها.

3- أنواع الرحلة

ويعتمد الإنسان على الرحلة كلما احتاج وسيلة من وسائل الحياة، وأراد الوصول إليها مما يجعله يتنقل من مكان إلى آخر، وتنوعت الرحلات بتنوع غاية الفرد. واختلف الباحثون في تصنيف أنواع الرحلة: << الدكتور "شوقي ضيف" صنف الرحلات إلى: رحلات جغرافية، ورحلات بحرية، ورحلات في الأمم و البلدان>> [4]

---

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص 69.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعة المصرية- مكتبة الوفاء، ط1، مصر، 1995، ص 38.

[3] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت لبنان، 1983، ص 6.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص 31.

وهناك من الرحالة من لم يكتف بالرحلة وما شاهده فقط بل أضاف ما اطلع عليه من كتب غيره، ومخططات، وما سمعه من الرحالة قبله ومن أغرب هذه التصنيفات تصنيف د. محمد الفاسي في مقدمة تحقيقه لكتاب " الإكسير في فكاك الأسير "؛ حيث يصنف الرحلات إلى خمسة عشر نوعا هي :

1-الرحلات الحجازية. 2- الرحلات السياحية.

3-الرحلات الرسمية. 4- الرحلات الدراسية.

5- الرحلات الاستكشافية. 6- الرحلات الزيارية.

7- الرحلات السياسية. 8- الرحلات العلمية.

9- الرحلات البلدانية. 10- الرحلات الخيالية.

11الرحلات الفهرسية[1]. 12- الرحلات العامة.

13- الرحلات السفارية.[2]

ويصنفها أيضا د. صلاح الدين الشامي في كتابيه: " الرحلة عين الجغرافيا المبصرة " و"الإسلام والفكر الجغرافي "، حيث يقسم الرحلة إلى أنواع كانت قبل الإسلام وأخرى بعد، رحلات قبل الإسلام هي :

1- رحلة الحج. 2- رحلة الحرب. 3- رحلة السفارة.

رحلات بعد الإسلام هي:

4- رحلة الحج. 5- رحلة طلب العلم. 6- رحلة التجوال و الطواف.[3]

[1] الرحلة الفهرسية: هي صنف تأليفي يختص بذكريات الدراسة عند شيخ من الشيوخ وما حصله من علوم.

[2] ناصر عبد الرازق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص32، الإكسير في الأسير، محمد بن عثمان المكناسي . تحقيق محمد الفاسي، الرباط 1965، المقدمة.

[3] ناصر عبد الرازق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص 33، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، صلاح الدين الشامي، منشأ المعارف الإسكندرية 1982، ص 71، 92.

والرحلة فن أدبي حر، يجد الرحالة فيه راحته في الكتابة حيث ينوع و يتصرف في مادته، ما يجعل لكل رحلة خصائصها التي تميزها عن باقي الرحلات بأسلوب الرحالة والمنطقة التي زارها.

4- خصائص الرحلة :

- **هيمنة بنية السفر**: التي تؤطر الأحداث وتنظمها مما سبق الإشارة إليه.
- **الذاتية:** تحضر ذات الرحالة في رحلته حضورا بارزا، وليس هذا بمستغرب ما دامت الرحلة حكيا لسفر قامت به هذه الذات، وهكذا تحتل الذات المركز في الحل والترحال، وتصطبغ الرحلة بألوانها.
- **الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا:** وهذا تجل من تجليات الذات في أسلوب الكتابة.
- **الواقعية:** الرحالة الراوي رجل واقعي علش في فترة زمنية معروفة، والأشخاص الذين يتحدث عنهم، هم أيضا واقعيون عاشوا في زمن معروف، ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض. وبهذه الخصيصة تتميز الرحلة عن الرواية و المقامة المبنيتين على الخيال.
- **دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق:** فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه، ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود معه إلى نقطة الانطلاق، وهكذا يدور الخطاب مع السفر، وينتهي من حيث بدأ.
- **تعدد المضامين وتداخل الخطابات:** يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وإثنوغرافية وأدبية... وتتداخل فيه خطابات مختلفة: الشعر والرسالة والحكاية و الوصف والسرد... وهذا ما يجعله جنس الأجناس، أو محصلة الأجناس.[1]

[1] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، ص 19.

5- أهم الرحلات الجزائرية :

بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام، كانت معظم الرحلات العربية عموما والجزائرية خصوصا غايتها وغرضها دينيا أكثر، فكانت أغلب الرحلات إلى الحجاز، للذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج أو العمرة.<< والرحالة الجزائريون قليلون إذا قيسوا بالرحالة المغاربة . وأقل من القليل أولئك الذين اتجهوا منهم نحو المغرب بدل المشرق. وإذا كان القرن الثامن عشر الميلادي قد ترك لنا رحلتين جزائريتين نحو المشرق، رحلة ابن عمار ورحلة الورثيلاني، فإنه قد ترك لنا أيضا رحلة يتيمة نحو المغرب وهي رحلة ابن حمادوش .... وليس ابن حمادوش هو أول جزائري يتوجه إلى المغرب، فقد سبقه كثيرون كابن قنفذ والونشريسي والمقري ولحقه كثيرون كالأمير عبد القادر والمشرفي، ولكنه أول جزائري حسب علمنا ترك لنا وصفا دقيقا لمدن تطوان ومكناس وفاس وأحوالهما الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال القرن الثامن عشر>>[1]

ويوجد أيضا رحلات علمية نذكر منها << أقدم الرحلات التي تنسب إلى ذلك العهد (العهد العثماني) "رحلة التوجيبي" التلمساني، وهي الرحلة العلمية التي كان غرضها طلب العلم والتجارة أحيانا لعاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفُكَيرين >>[2]

ومن الرحلات الحجازية في العهد العثماني رحلة الحسين الورثيلاني المعروفة بـ " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار " والتي نحن بصدد دراستها في هذا البحث.

[1] أبو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 204.

[2] ينظر أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص382.

الفصل الأول

مضامين رحلة الحسين الورثيلاني

1- التعريف بالرحلة الورثيلانية و صاحبها.

2- وصف الآثار المادية في الرحلة (العمران).

3- ذكر الأولياء الصالحين و وصف الأضرحة .

4- وصف العادات و التقاليد.

5- وصف المدن و القرى.

1- التعريف بالرحلة الورثيلانية و صاحبها

التعريف بالرحلة :

رحلة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ". تعرف بالرحلة الورثيلانية نسبة إلى الشيخ الحسين الورثيلاني، وهي رحلة عرفت باسم صاحبها، هذا أمر مألوف في الرحلة عموما والمغربية خصوصا، فقد كان يغلب على اسم الرحلة، اسم صاحبها فتشتهر به، وهي من أهم الرحلات التي اشتهرت في المغرب العربي وخاصة في الجزائر وتضم الرحلة الورثيلانية معلومات قيمة، حيث قال عنها الحسين الورثيلاني هي << رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من تصوف. >>[1] وفي هذه الرحلة يصف لنا الورثيلاني الطريق الذي كان يسلكه الحجاج إلى مكة، ويحدثنا عن معالم الحج وتأدية مناسكه، حيث انطلق في رحلته من بجاية بالجزائر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وكان مسارها كالتالي:

الجزائر ← تونس ← ليبيا ← مصر ← مكة المكرمة

وقام في رحلته بزيارة مدن كثيرة منها بجاية وهي منطقة انطلاق الرحلة والمرور بالزاب، دلس، سيدي خالد، المدية، بونة (عنابة)، قسنطينة، قابس، منستير، تبرسق، القيروان، طرابلس، ابن غازي، القاهرة و غيرها وصولا إلى مكة.

وقد كان الرّحالة يقدم تقريرا عن كل مدينة يمر بها ويقدم معلومات غنية تشمل << ذكر المدن والقرى وبيان أوصافها وذكر الفلوات والصحاري والأنهار والعيون وحسن بناء المدن والأسوار

[1] سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة 1، القاهرة 2008، ص 12-13.

والحوانيت والأسواق والأزقة والمساجد وإتقانها والصوامع وأوصاف ما ذكر وملاقاة الرفاق والرجال من عامة المؤمنين وبيع الحوائج وشرائها.>> [1] وعادة ما تكون رحلته إلى المدن الأخرى إما لزيارة قبور الأولياء الصالحين أو الإصلاح بين الناس والقبائل، والرحلة هي إحدى الوثائق الهامة التي يوثق فيها الكاتب سيرته الذاتية وكل من تعرف عليه من الشيوخ والعلماء، وعلوم الفقه والتاريخ والأدب.

دعا الرحالة في رحلته هذه إلى الصلح والتسامح بين الناس، الابتعاد عن الفتن وشهادة الزور والظلم وعدم انتهاك حقوق الإنسان، ودعا أيضا إلى التقرب من الله والابتعاد عن المعاصي وكل ما يغضب الله ورسوله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولاحظنا هذا في مواقف كثيرة كتب عنها منها <<فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين >> [2] ويوضح الرحالة هنا أن معظم رحلاته وسفراته كانت من أجل الإصلاح بين الناس ونشر التسامح بينهم، وكذا الدعوة إلى الله تعالى والنهي عن المحرمات كما هو الشأن بالنسبة للاختلاط بالنساء حيث ينهي الرحالة الرجال الذين يختلطون بالنساء الأجانب سواء كان من أجل العلم أو غير ذلك حتى لو كن صالحات قانتات فحرام الاختلاء بالنساء وقد استشهد في ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه و سلم << ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما وقال أيضا باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال وقال أيضا لو كان عرق الرجل في المشرق وعرق المرأة في المغرب أو العكس لتحانّا>>[3]

التعريف بصاحب الرحلة

هو الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني[4] ولد سنة (1125 هـ 1193هـ) بقرية بني ورثيلان قرب سطيف بالمغرب الأوسط (الجزائر)، ينحدر الورثيلاني من

[1] الرحلة، ص 179.

[2] الرحلة، ص 18.

[3] ينظر الرحلة، ص 624.

[4] الرحلة، ص 11.

عائلة شريفة ذات علم كبير تشتهر بالتقوى والصلاح، تلقى تعليمه بمسقط رأسه بني ورثيلان على يد والده وشيوخ بلده << في المدرسة القرآنية، التي كان يديرها والده، حفظ الورثيلاني القرآن الكريم وهو في سن مبكر. وبعد أن شب ذهب يبحث عن العلم في مختلف الزوايا، فتعلم الفقه والنحو ثم أضاف إلى ذلك علمي التصوف والتوحيد، ولا شك أنه نال حظا من اللغة والأدب والعروض والتاريخ >> [1] حضر مجالس أشهر الشيوخ واطلع على علمهم واستفاد من الدروس التي قدموها في الفقه، النحو، البلاغة، من أشهر المشايخ الذين مر بهم أثناء رحلته وحضر دروسهم واستفاد منهم بذكر:

1-الشيخ الحفناوي : حضر مجالس في تدريس الرحبية و شرح الششتوري لقنه الذكر وأذن له في الإعطاء.[2]

2-الشيخ الزيات الشافعي : حضر مجلسه في مسائل النحو من الاشموني و ناقشه ثم أنصفه وأقره.[3]

3-الشيخ عمر الطحلاوي : حضر دروسه وقد جمع المعقول و المنقول.[4]

قال فيه الحنفاوي بأنه << الإمام العالم العلامة الكامل، الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العاملين، وبقية السلف الصالحين محي السنة والطاعن في نحور مخالفيها بالأسنة، نادرة الزمان وبركة المسلمين في كل عصر وأوان الجامع بين العلمين والكامل في النسبتين حامل لواء الشريعة والحقيقة ومعدن السلوك والطريقة ذو التآليف المفيدة، والتصانيف العديدة .>> [5] كل الناس تشهد له بالعلم والعمل الصالح حتى << أصبح

[1] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 394.

[2] الرحلة، ص 292.

[3] الرحلة، ص 294.

[4] الرحلة، ص 350.

[5] أبو القاسم محمد الحنفاوي، تعريف الخلف يرجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر ، ج2، ص133.

كمرابط يتدخل بين الناس لإصلاح ذات البين ويعلم مبادئ الدين التي حرفها البعض عن مواضعها >> [1] وقد حج بيت الله الحرام ثلاث مرات أو أكثر:

- الأولى : الحجة الأولى عام ثلاثة وخمسين ومئة ألف 1153 هـ [2] كانت مع والده وعمره حينها ثمانية عشر عاما.
- الثانية : وكانت عام 1166 هـ وعمره آنذاك واحد وأربعون عاما.
- الثالثة : فاستغرقت الأعوام من 1179 هـ إلى 1181 هـ.

وكانت حافلة بالنشاط العلمي و اللقاءات المتكررة و المتواصلة بالشخصيات الفعالة.[3]

كانت جل كتبه و أعماله صوفية في مدح النبي عليه الصلاة و السلام أو ما يخص دين الله ومن أشهر أعماله :

- شرح وظيفة سيدي يحي العيدلي.
- رسالة في شرح: وقفت بساحل وقف الأنبياء دونه.
- شرح القدسية للشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري .
- شرح على وسطى السنوسي.
- شرح خطبة الكبرى للشيخ السنوسي.
- تشطير البردة للبوصيري...الخ[4]
- كتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

وعلى العموم فقد ترك الورثيلاني الكثير من الكتب الغنية بالعلوم والمعارف << وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية >> [5]

---

[1] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 394.

[2] الرحلة، ص 157.

[3] مفاتيح نادية، آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، نوقشت بجامعة ورقلة 2017، ص 7.

[4] المرجع نفسه، ص 8.

[5] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 394.

الرحلة هي إحدى الوثائق الهامة التي يوثق فيها الكاتب أسماء الشيوخ والعلماء، علوم الفقه، والتاريخ، والأدب ويصف مشاهداته لمختلف الأماكن والبلدان التي زارها.

2- وصف الآثار المادية في الرحلة (العمران)

اهتم الرحالة بوصف الآثار المادية (العمران) مثل المساجد، والمباني، والطرقات وغيرها،ومن هذه المساجد نذكر:

- **مسجد الزاب ببسكرة**

يقول صاحب الرحلة: << زرنا مسجدا وطلعنا إلى مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء >> [1] عرف أهل الزاب بالجود والفضل وأحسن الله إليهم، هذا ما جعلهم يبنون مساجد للعبادة والتقرب من الله عز وجل وحفظ القرآن وتعليم أحكامه وإعطاء دروس في الفقه، زار الرحالة أحد هذه المساجد المتواجدة بطولقة ببسكرة، وهو غاية في الإتقان << إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه >> [2] ويعود هذا إلى الأتراك الذين سيطروا على المواقع الأساسية التي يسترزق ويعيش منها أهل المدينة من مياه وأودية ونخيل ومزارع، مما جعل الناس يهجرون المناطق و يبقى المسجد خاويا على عروشه.

- **مسجد السلطان حسن بمصر**

وهو مسجد مميز وفريد لا مثيل له في البلاد، ذو فخامة وإتقان في البناء، وذو ارتفاع وحسن في أحكامه واتساع حناياه وبه أعمدة رخامية شاهقة وأبواب كبيرة تشبه الجبال في كبر حجمها وفي أحد هذه الأبواب سارية رخامية ذات نقوش وزخارف عجيبة ويبدو أن هذا المسجد

[1] الرحلة، ص 117.

[2] الرحلة، ص 117.

كان من أجمل وأفخم المساجد في المنطقة على عادة أهل المشرق الذين عرفوا بالفخامة في البناء.[1]

- **مسجد العشيرة بالمدينة**

يصف الرحالة دخوله مسجد العشيرة وهو من أحد المساجد التي صلى فيها النبي عليه الصلاة والسلام يقول << دخلنا هذا المسجد وقِلْنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل وفيها ينابيع ملتفة ناعمة ووجدنا بها العام يبس ماء العين وانهدم بعض سقف المسجد وذبلت النخل وفي الينابيع مزرارة على تل مرتفع >> [2]

- **المسجد الأعظم ببلاد الطائف**

أطلق عليه اسم المسجد الأعظم لمكانته حيث كان محل نزول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي وسط المسجد يوجد مسجد صغير جاء في السيرة أنه منزل النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه محل يقال محل قبة أم المؤمنين أم سلمة.[3]

- **مسجد قباء بالمدينة**

وقد بني بالمدينة المنورة وله مكانة عظيمة عند المسلمين، وأطلق عليه مسجد قباء نسبة إلى قباء أم المؤمنين، ويصف الرحالة دخوله لهذا المسجد يقول << دخلنا الحديقة التي فيها بئر اريس و شربنا من مائها وتوضأنا منه ومنها مسجد الجمعة و هو في طريق قبا نحو ميل أو أقل من مسجد قبا على يمين الذاهب من المدينة على الطريق التي تمر بين النخل >>[4] فهو من أحد المساجد التي صلى فيها النبي عليه الصلاة والسلام وكانت << أول جمعة صلاها عليه الصلاة

[1] ينظر الرحلة، ص 318.

[2] الرحلة، ص 412.

[3] ينظر الرحلة، ص 515.

[4] الرحلة، ص 543.

والسلام بالمدينة >> [1] فهو من المساجد التي فضلها الصحابة عن باقي المساجد، عن عمر رضي الله عنه أنه قال <<لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل>> [2] وقال أيضا <<سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحب إلي من أن آتي إلى بيت المقدس مرتين >>[3].

- **وادي الرهبان بمصر**

وسمي بوادي الرهبان << لأن به رهبان النصارى يتعبدون فيه ديور كل طائفة في دير ولا يدخل إليهم أحد من غير جنسهم >>[4]، وهو واد عظيم توجد فيه قصور للعباد يقصدونها لعبادة الأصنام ينعزلوا ويتوحدوا عن الوسط الخارجي، خاصة أهل مصر لكثرة الطوائف من النصارى المقيمين فيها. [5]

- **وادي بطحان بالمدينة**

وهو وادي من الأودية التي شدت انتباه الرحالة من أوصاف مميزة قال : << وادي بطحان وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة ودور الأنصار غالبها على حافتيه شرقا وغربا... يصل إلى وادي جاف شرقي مسجد قبا وأوله من الماجشونية ثم يمر كذلك إلى أن يمر غربي سور المدينة إلى طرف المصلى ثم يخرج إلى غربي سلع وقرب مساجد الفتح ثم يمر كذلك إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجتمع الأسيال ... بطحان على ترعة من ترع الجنة ويخرج الناس للتفرج فيه وعلى حافتيه منازل كثيرة لأهل المدينة قد جعلت لها شبابيك ومجالس إلى ناحية الوادي وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى وقلما يخلو أعلاه من ماء يسيل به نجلا يقوى إذا كثرت الأمطار ويقل

[1] الرحلة، ص 543.

[2] الرحلة، ص 543.

[3] الرحلة، ص 543

[4] الرحلة، ص 293.

[5] ينظر الرحلة، ص 292.

إذا قلت >>[1] وهو وادي من أجمل الأودية التي وصفها الرحالة وأعجب بموقعه ومنظره الخلاب وطبيعته المميزة، ففصل في وصفه وذكر جماله الخلاب.

- **المح بمكة**

يصف الرحالة زيارته للمح، ذكر أن فيه مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم، وطريق تفصل بينه وبين خليص ثلاث أميال ذات أحجار كثيرة وأوعار صعبة، إلى أن دخل خليص وفيه عين محكمة البناء ساقيتها قوية ولا يوجد أعظم منها بناء، فيها بركة ذات عمق كبير لا يستطع أن يسبح فيها إلا من كان قادرا على السباحة ومنها تجري ساقية إلى أرض الحراثة وفيها مزارع ومقاثي وبساتين وأكثرها الدخن. [2]

- **بئر تورغت**

ماؤه عذب حفره عبد السلام بن عثمان بمنطقة تورغت وعدله وغرس بجانبه شجرة التوت لكي كل ما يمر شخص بهذه المنطقة يجد أين يختبئ من حرارة الشمس ويستظل بظل هذه الشجرة ويشرب الماء هو و إبله و يأخذ ما يحتاجه.[3]

- **منارة الإسكندرية بمصر**

ومن أشهر المباني المتواجدة في مصر ومن عجائب هذه الأرض وصفها الورثيلاني وصفا دقيقا ومثل منارة الإسكندرية مبنية بحجارة مطلية بالرصاص كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع وفي أعلاها تماثيل من النحاس منها تمثال يشير للشمس ويدور مع دورانها وتمثال آخر مقابل البحر متى ما قدم العدو يصدر صوتا يسمع على نحو من ليلة يعلم أهل البلدة بقدومهم للاستعداد لمواجهتهم، وفي أعلاها مرآة ترى القسطنطينية وكلما حضر جيشا لإقامة الحرب شاهدوهم من خلالها، وفيها ما يقارب ثلاثمائة بيت تصعد الدابة بما تحمله إلى جميع مباني هذه

[1] الرحلة، ص607، 608.

[2] ينظر الرحلة، ص 446.

[3] ينظر الرحلة، ص 278.

المنارة، ومن عجائب هذه المنارة التي يقال بأن ذو القرنين هو الذي بناها وهي مميزة عن باقي البناء، مصنوعة من حجار كبير منحوت وفيها ثلاثة منارات فالمنارة الأولى صنعت على شكل مربع وفوقها منارة أخرى مثمنة مبنية بالأجر وعلى رأسها منارة مدورة عليها مرآة من الحديد الصيني.[1]

3- ذكر الأولياء الصالحين و وصف الأضرحة

يلفت الانتباه في هذه الرحلة كثرة ذكر الأولياء والشيوخ والعلماء والفقهاء، والتعريف بهم وبالمكان الذي يقيمون فيه وما أخذ عنهم من علم ونصائح، الأولياء الصالحين هم أهل الصلاح والإيمان بالله و رسوله عليه الصلاة والسلام وما أنزل عليه، وحفظ القرآن والعمل به وميزهم الله عن سائر البشر فهم أصحاب العلم والفقه جاء في سورة الأنفال (**وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ**)[2] وكان هؤلاء الأولياء الصالحون يحضون بمنزلة عالية في المجتمع الذي ينتمون إليه، وبعد وفاتهم تصبح قبورهم أماكن دينية يقصدها الناس من جميع أنحاء المدينة وحتى من جاء مارا على بلدة فعليه زيارة الأولياء الصالحين أو أضرحتهم لنيل البركة والسلامة في الطريق والوصول إلى أهلهم سالمين، وقد أشار إليهم الرحالة مرات عديدة وتبرك بهم ومما يدل على ذلك أنه كلما ذكرت أسمائهم يعقب المؤلف عليهم بعبارات خاصة من ذلك قوله "نفعنا الله به آمين" "أفاض علينا من بركاتهم بمنه وكرمه آمين" "نفعنا الله به وبأمثاله جميعنا" "رزقنا الله بركته آمين"... الخ، يقول الورثيلاني متحدثا عن أحد هؤلاء الأولياء وهو سيدي أحمد بن مزيان[3] << ثم نزلنا قرية الشيخ الفاضل ذي التصنيف الجيد الولي الكبير والعالم الشهير صاحب وقته المحب للنبي صلى الله عليه وسلم وخليله سيدي أحمد بن مزيان وهي وَرْجَة قرية

[1] ينظر الرحلة، ص 651، 652.

[2] سورة الأنفال، الأية 34.

[3] أبو عبد البر محمد بن عبد القادر بن رمضان مزيان وأطلق عليه الورجي نسبة لقرية ورجة.

عظيمة طيبة فيها بساتين وعين جارية وسط داره وله خلوة معلومة له اليد العليا في العلوم كلها المنقولة والمعقولة وقد خمس البرد >>[1]

ومن الأولياء الذين ذكرهم نجد سيدي ناصر الخلقي، يذكر الكاتب أنه << كان فقيها مفتيا حافظا للأنقال وهو من قرننا هذا و من الحادي عشر معاصر لجيد والد والدي وأولاده على الفضل والحلم >>[2]، وهناك أيضا سيدي أحمد بن سعيد وهو<<ولي معظم عند بني عفيف ضريحه مشهور يزار وأولاده أفاضل على الخير والطاعة >>[3] ثم يحدثنا عن زيارة قبر الشيخ إبراهيم اللقاني[4] الذي دفن<<في مقبرة هنالك محوط عليه بالأحجار على يسار الذاهب إلى منزل الركب>>[5] وبعد ذلك يحدثنا الورثيلاني عن زيارته للشيخ عبد السلام الأسمر[6] قال <<زرنا القطب الصالح والغوث الواضح الشيخ عبد السلام الأسمر فانه مجاب الدعوة وقبره روضة وحريمه لا يتعدى عليه أحد فمن وصل إليه سلم ونجا أفاض الله علينا من نفحاته وقد رغبنا عنده فدعونا الله لنا ولأقاربنا والمسلمين والمسلمات >>[7] ثم يذكر بركة هذا الشيخ وكيف أن من زار ضريحه يستجاب له الدعاء ولا يصيبه أذى ولا يتعدى عليه وعلى حريمه أحد.

[1] الرحلة، ص 29.

[2] الرحلة، ص 95.

[3] الرحلة، ص 95.

[4] الشيخ برهان الدين إبراهيم أبو الإمداد اللقاني أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الإطلاع في علم الحديث و الدراية، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوي في وقته بالقاهرة.

[5] الرحلة، ص 399

[6] عبد السلام الأسمر بن سليم الفيتوري الإدريسي الحسني، يعد من أهم العلماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري فهو من فقهاء المالكية وعالم في عقيدة أهل السنة و الجماعة.

[7] الرحلة، ص 716.

4 – وصف العادات و التقاليد في رحلة الحسين الورثيلاني

العادات والتقاليد جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية، فالعادات هي كل ما قد يعتاده الإنسان ويقوم بتكراره وفعله في العديد من المناسبات المختلفة، وأما التقاليد فهي تكون بمعنى أن يتبع الجيل ما قد قام بفعله الجيل الذي قبله، بحيث يفعل جميع ما كان الجيل السابق يفعلونه .

وجميع الشعوب المتواجدة على وجه الأرض لها عاداتها وتقاليدها المختلفة وتتميز من شعب إلى شعب ومن مدينة إلى مدينة وفق الحضارات التي مرت بالبلد، ومما نرى أن هذه العادات والتقاليد متشابهة بين البلدان العربية حيث قلما نجد اختلافا وإن وجد يكون اختلافا بسيطا. ذكر الحسين الورثيلاني في رحلته العديد من العادات والتقاليد وسنقدم البعض منها :

أ– عادة الخروج في الرحلة يوم الخميس

من تقاليد الرحالة المسلمين الخروج يوم الخميس لما فيه من تيمن وبركة والله يحفظهم من أي مكروه قد يصيبهم أثناء رحلتهم وعلى ما يبدو أن الرّحالة يقلدون بعضهم في اختيار يوم الخميس لانطلاق رحلاتهم، من الرحالة الذين عملوا بهذا الحديث العياشي[1] إذ أشار إليه في رحلته قال : << خرجنا من بلدنا ... صبيحة يوم الخميس أول ربيع الثاني وتوخينا ذلك اليوم رجاء بركة قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك لأمتي بكورها يوم الخميس >>[2]

والورثيلاني نفسه اختار يوم الخميس لبداية رحلته وهو يصرح بذلك قائلا << خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن والبركة، في كل سكون وحركة، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ثم بقينا كذلك على التوديع إلى أن غربت الشمس بل إلى صلاة العشاء والناس تقدم إلينا لتذكرنا الانفصال، والافتراق والانتقال >>[3]

---

[1] أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي رحالة وفقيه مغربي صاحب الرحلة العياشية إلى البقاع الحجازية.

[2] أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، ت .سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع أبوظبي، ط1، 2006،ص67.

[3] الرحلة، ص 107.

ب- زيارة الأولياء الصالحين لطلب الحاجات

يصف الرحالة الطريقة التي يطلب بها الناس حاجياتهم من الله عن طريق الأولياء الصالحين والأنبياء يقول << من أتى زائرا لضريح ولي من أوليائه أو نبي من أنبيائه أو صالح من صلحائه يقف عند رجليه أو عند وجهه مستقبلا المزور ثم يسأل الله تعالى بجاهه أن يمن عليه بغية المسئول والمأمول من خير الدنيا والآخرة >>[1] ويقول أدعية كثيرة منها << اللهم بجاه أنبيائك وأصفيائك وصهيب وعمار بن ياسر وأويس القرني وعبد الله بن الحصين وعبد الله بن المبارك (وأبي يزيد البسطامي) وأبي القاسم الجنيد ولا أدري هل زاد معروفا الكرخي أم لا وبجاه صاحب هذا الضريح فلان بن فلان أن تمن علي بكذا وكذا >>[2] وكان الورثيلاني محب لهذه الزيارات و محافظا على أدائها في المناسبات.

ج- اللهو و الطرب في النصف من شعبان

من العادات في أيام الموسم بالمدينة طبخ أشهى وألذ الأطباق، بيع ولبس الملابس الفاخرة وبضائع كثيرة وثمينة، مع مختلف العبادات من تكبير وصلاة وقراءة والذبح وإطعام الناس والتصدق ورمي الجمار[3]، قال الورثيلاني في أهل المدينة أنهم << يخرجون إليها بالأخبية والأطعمة الكثيرة ويبيتون بها في لهو وطرب وهو يوم النصف من شعبان >> [4] ومن عاداتهم أيضا أنهم يخرجون من منازلهم ويأخذون الطعام لقضاء القيلولة، ومن عادات نسائهم الخروج إلى التنزه في البساتين والأماكن الشاسعة الواسعة وطبخ مختلف أنواع الأطعمة والمأكولات، وخروج الرجال إلى المساجد و التبرك بها و الصلاة فيها، ويعلق الورثيلاني على هذا الأمر أنه من العادات المذمومة التي تكلف الأزواج ما لا يقدرون عليه << في موسم الحج ويخرج أهل المدينة

[1] الرحلة، ص 145.

[2] الرحلة، ص 145.

[3] ينظر الرحلة، ص 516.

[4] الرحلة، ص 549.

إلا القليل بأولادهم ونسائهم ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيام الكبار ويخرج أمراء المدينة وعسكرها وتنصب الأسواق العظيمة هنالك يخرجون من أوائل رجب ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكلهم >> [1] يخرجون للطرب واللهو واللعب والرمي بالمدافع والمحارق ويبيتون طوال الليل في القراءة وزيارة المقابر وإشعال الشموع .

د- عادات أهل المدينة يوم الجمعة

لأهل المدينة عدة عادات يقومون بها يوم الجمعة ذكرها الحسين الورثيلاني منها وعلى الخصوص الخروج للبقيع وكنس المسجد النبوي يقول في ذلك << ومن عادته في يوم الجمعة الخروج للبقيع و وضع الرياحين الكثيرة على القبور>>[2] ومن عادتهم أيضا << يوم الجمعة أن يكنس المسجد النبوي كله ويؤتى بأغطية من ديباح أسود مخوص بالذهب فتعلق على أبواب المسجد ويؤتى برايتين سوداوين من ديباج مخوص أيضا فيركزان عن يمين المنبر وشماله وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجا من ذلك النعت ويعلق أيضا على أبواب الحجر الشريفة>>[3]

هـ- عادة تعطيل التدريس يوم الثلاثاء و يوم الجمعة

يخبرنا الورثيلاني أن أهل المدينة إجازتهم في المكاتب والمدارس تكون يوم الثلاثاء والجمعة وفي المغرب أي (الجزائر) يختلفان في يوم الثلاثاء بالمدينة والخميس بالجزائر، ويتفقان في يوم الجمعة كونهما بلدتان إسلاميتان، و هذا اليوم عند المسلمين يوم عظيم من أيام الأسبوع خصصه الله عز و جل للعبادة و طاعة الله، في الأيام الأخرى يعيشون حياتهم بما يخص كل بلدة.[4]

---

[1] الرحلة، ص 554.

[2] الرحلة، ص 585.

[3] الرحلة، ص 585.

[4] الرحلة، ص 586.

و- عادة التهنئة بالشهر

ومن عادات أهل الحرمين الشريفين << التهنئة بالشهر أي شهر كان خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فإن التهنئة عندنا إنما تكون بالأعياد و ما شاكلها ولديهم لا بد من التهنئة في أول يوم من كل شهر فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله >>[1]

ز- الصلاة في الحرم الشريف

ومن عادتهم أثناء الشروع في إقامة الصلوات الخمسة في الحرم الشريف تقديم الصلاة في أول الوقت، ماعدا الصبح للحنفي فيؤخر ليلحق به المسافرون و يصلونه جماعة، و يصلون الظهر مع بداية بلوغ الشمس المنتصف.[2]

ح- عادة الأفراح و الأعراس

تختلف عادات وتقاليد الأفراح و الأعراس من منطقة إلى أخرى من عدة جوانب سواء كانت المأكولات، الأطباق أو طريقة الاحتفال وعقد القران وغيرها، و من هذه العادات ليلة الدخول قال الورثيلاني أن << ليلة الدخول أتى بالرجل و معه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه ومعهم الشموع حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الأخيرة فيدخل و يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيخرج ثم يذهب به كذلك يزفونه إلى بيت المرأة في دار أهلها >>[3] ويشير الرحالة إلى أن من عادة أهل المدينة أن يؤخذ الرجل إلى بيت الزوجة على خلاف عادات المغرب حيث تزف المرأة إلى بيت أهل الزوج.

---

[1] الرحلة، ص 587.

[2] ينظر الرحلة، ص 587.

[3] الرحلة، ص 588.

ط- عادة صلاة الجنازة:

من العادات في الحجاز أثناء الصلاة على الميت و إقامة الجنازة أنهم يدخلوها إلى الحرم الشريف فيصلى على الميت بالمسجد ثم يمر بها أمام الوجه الشريف و يوقف بها وقيفة ثم يذهبون به لدفنه.[1]

ي- عادة الكراء و الشراء

قال الرحالة في عادة الكراء و الشراء عند أهل المدينة أن << من عادتهم في كراء الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة و الينبع أن بالمدينة رجالا يعرفهم غالب الجمالين فمن احتاج الكراء من أرباب الدواب أو أرباب السلع أتى إليهم فيعقدون لهم الكراء مع صاحبه >>[2] يحدثنا الورثيلاني عن عادة أهل المدينة في الشراء حيث اعتاد أهل المدينة و المقيمين في أطرافها الشراء من الأعراب القادمين من مناطق أخرى الذين يجلبون معهم اللبن والجبن، يدخلونها الأسواق و بيع السلع المنهي عنها لكنهم اعتادوا على هذا وصار شيئا طبيعيا إجراء هذه العملية.

ك- عادة استقبال المسافرين

عند وصول أهل الرحلة إلى مصر عند مكان يسمى البركة و هو موقع يتمركز فيه أهل مصر ليلتقوا المسافرين، المغاربة و أمراء الأجناد و الأتراك، فنصبوا الأخبية [3] في الطرقات وملئوا المكان بالأسواق من البركة إلى مصر.[4]

---

[1] ينظر الرحلة، ص 588.

[2] الرحلة، ص 590.

[3] الأخبية مصدرها خبأ وتعني خيمة من الصوف أو شعر تكون على عمودين أو ثلاثة.

[4] ينظر الرحلة، ص640.

ل- عادة استقبال الحجاج

ثم يحدثنا عن عادة استقبال الحجاج عند العودة إلى الديار حيث يقول << وصلنا زمورة[1] فلما سمعوا بنا لقينا من بها من العامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم وغير ذلك من أنواع الفرح فكل يعزم علينا و يرغب في المبيت عنده إلى أن وصلوا إلى الفتنة و الهرج بسبب ذلك>> [2] وهي عادة تكشف لنا مكانة الحج عند الناس و منزلة الحاج و هي عادة مازالت إلى يومنا هذا حيث يحتفي بالحجاج و تقام لهم الولائم ويأتي الناس للتهنئة و نيل البركة.

5- وصف المدن و القرى

يهتم الورثيلاني في رحلته بوصف المدن و القرى و من هذه المدن يذكر الخنقة وهي <<قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط واد بين جبلين وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها و في البركة >> [3]

ويصف أيضا مدينة تورغا الليبية بأنها << بلدة منقطعة أول برقة فيها نخل كثير ... وماء هذه البلدة غزير في وسط السبخة وهم ساكنون في الأخصاص ولا يبنون بالطين إلا مواضع الخزين يبنونها بالطين و الأحجار يحفرون عليها فيستخرجونها بنحت الأرض و هي أحجار سود وبناؤهم لا يكاد ينهدم وهي واسعة جدا لا يقدر الإنسان أن يحيط بها في يوم واحد وعينهم غزيرة تسع ألف ساقية فيما ذكروا ولا يحرثون حرثا و لا يغرسون غرسا إلا النخل فقط >> [4]

ومن هذه الأماكن أيضا وادي الأراك << وادي الأراك، وهو واد ليس لانفراد محاسنة اشتراك، وبعده دخلنا بين جبال وأوعار، ومضيق و أحجار، وحدرات طوال، وصعودات وتلال

---

[1] زمورة هي إحدى الدوائر التابعة لولاية غليزان و تعتبر أقدم منطقة في الولاية.

[2] الرحلة، ص 806.

[3] الرحلة، ص 150.

[4] الرحلة، ص 260.

حتى نزلنا ببندر الوجه المبارك، وصار حصنه متقاربا متدارك، فرأينا به الآبار الخالية، وحفائر الماء العذب غير خالية >> [1]

ثم تأتي العقبة السوداء وهي عقبة صغيرة في حرة سوداء ذات أزهار وأشجار ويقال أنها أول أرض الحجاز، وهي أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الرجوع، بها حدائق ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل، وكان به سور، منيع و جامع مفرد وسيع، وبيوت فسحة الرحاب فآل أمرها إلى الخراب، وبه الآن سوق الحجاج، يأخذون منه الذخيرة عند الاحتياج، وبه أفران وحيشان كبار، وعشش تسقى فيها القهوة من أيدي الجوار. [2]

من مدن الحجاز التي ذكرها الورثيلاني مدينة " رابغ " و هي << قرية فيها نخيل و آبار كثيرة في واد يأتي إليه السيل من بعيد تزرع فيه مفاثي كثيرة و دخن و ذرة و هو من أخصب أودية الحجاز >> [3]

وبعد ذلك يحدثنا عن بندر مويلح وهو بلد كبير في مصر << وهو بندر[4] عظيم كثير الأرزاق ثم إن أسواقه تامة وفيها ما لا يحصى من أنواع النبات والأطعمة المختلفة والملابس المزخرفة والطبائخ المنوعة وعلف الدواب كثير وفيه مرسى قوية النفع وأن هذا البندر أعظم بنادر الدرب>> [5] ومن مصر يدخل الحجاج إلى التراب الليبي وأول مدينة يذكرها هي << مدينة ابن غازي[6] على شاطئ البحر وهي مدينة طيبة فلا بأس بها لكونها مرسى في قربها سبخة وفيها بساتين من ناحية أخرى و أرضها طيبة المزارع بلدة طيبة مباركة >> [7]

---

[1] الرحلة، ص 408.

[2] ينظر الرحلة، ص 409.

[3] الرحلة، ص421.

[4] بندر كلمة مصرية عامية تعني مرسى السفن، و يطلق الآن على البلد الكبير يتبعه بعض القرى.

[5] الرحلة، ص 435.

[6] ابن غازي المدينة الليبية المعروفة حاليا ببن غازي.

[7] الرحلة، ص 706.

ومن ابن غازي بليبيا يدخل الورثيلاني تونس فيذكر مدينة سوسة << وهي بلدة طيبة قريبة من حاضرة تونس لها سور عظيم و بنيانه جسيم و هي محكمة منضبطة على شاطئ البحر فيها مرسى ... بلدة طيبة (واسعة البساتين كثيرة الفواكه طعامها جيد و خبزها طيب) >>[1]

ومن القرى الكثيرة في تونس << قرية مشهورة فيها قصر عظيم و بناء جسيم حكيم البنيان متقن الصنعة عريض المتن له أبواب كثيرة طبقة على طبقة واسع المتن طويل البناء ... و حوله قرية مستديرة به كثيرة الزيتون خارج عن العادة عدا و وسعا وكبر جثة طويل الفروع >> [2]

ويصف الورثيلاني تونس ويذكر ما فيها من خيرات يقول << تونس خيرها عظيم، وحالها كريم، ووصفها نعيم، وطبعها نسيم، حلوة المذاق، عزيزة الفراق، كثيرة الاشتياق، قوية الأسواق ممدودة الأرفاق، واسعة الإنفاق، جالبة الأرزاق، كثيرة الفواكه في جميع الأوقات بلا كلفة ولا مشاق، جامعة لأجناس الخلائق، فيها جميع الأصناف من أهل الحقائق، روضة للمطيع والعاصي ... ولمدينة تونس سور يدور بها ويقال أن دورها أربعة وعشرون ألف ذراع وجامعها مليح الصناعة حسن الوضع مطل على البحر >> [3] وتونس من المناطق التي فضلها الرحالة وأعجب بها بما شاهده من أماكن وشوارع، وما صادفه من علماء، وأشخاص عاملوه أحسن معاملة.

وتستمر الرحلة في القطر التونسي بالوصول إلى بلاد قسطيلية التي تضم توزر والحامة وقفصة، فيصف لنا مدينة توزر ويقول عنها: << هي أم مدائن قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب وفيها جمع محكم البناء وأسواق كثيرة حولها رياض واسعة فهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والبساتين والثمار إلا أن قصب السكر لا يصلح فيها وكذلك اللوز وحولها سواد عظيم من النخل وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا وشربها من ثلاثة أنهار >> [4]

[1] الرحلة، ص 708.

[2] الرحلة، ص 757.

[3] الرحلة، ص 771، 773.

[4] الرحلة، ص 775.

ومن تونس يدخل إلى مدينة قسنطينة بالقطر الجزائري، تقع شرق الجزائر في الحدود التونسية وهي مدينة عريقة وتاريخية قوية و أهلها ذوي علم وجاه وهي بلدة ولادة للعلماء والفقهاء فاشتهرت بعمرانها المميز، فيها ثلاثة أبواب مشهورة باب الوادي، باب الجابية وباب القنطرة وبويب صغير يسلكه الآدمي وفيها أسواق كثيرة، ويمتازون ببيع الأشياء النحاسية الغنية بالزخارف اليدوية وفيها مساجد للجمعة مبنية في غاية الإتقان وزخارف جميلة، و لعل أهم ما يلفت الانتباه في هذه المدينة قوله إنها مدينة ولادة للعلماء.[1]

[1] الرحلة، ص 791.

الفصل الثاني

البناء الفني رحلة الحسين الورثيلاني

1- لغة الرحلة

2- الزمان و المكان في الرحلة

3- تداخل الأجناس الأدبية

- **لغة الرحلة**

اللغة هي أساس العمل الأدبي، حيث يبني عليها الكاتب عمله، يستخدمها للتعبير عما في داخله، فهي تحدد أسلوبه في الكتابة وتميزه عن غيره في طريقة التعبير وسرد الأحداث، هذا ما يدفعنا إلى اعتبارها ركيزة العمل الأدبي فـ << اللغة جواهر منثورة منشورة، والأسلوب عقد منتظم منها >>[1]. لذا يمكن أن نقول بأن اللغة أصعب خطوة يخطوها الكاتب لتقديم عمله، قال الجاحظ << ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات>>[2]. ويجب على السارد أن يكون ذا زاد لغوي للكتابة وأن تكون في متناول المتلقي، فهي الوسيط الأساسي بين أفكار الكاتب والقارئ لأن << اللغة هي الوسيلة التي بها ننقل إلى الغير أفكارنا ووجداننا >> [3]

وقد وظف الكاتب اللغة السردية ليروي لنا أحداث الرحلة فذكر زمان ومكان الانطلاق ثم العودة وبدأ بذكر مناسك الحج، يقول : << طفنا بالبيت سبع طوفات، للقدوم نوينا هذه الحركات فأتممناه ولم نبال بما لنا في تقبيل الأحجار من الازدحام، والمورد العذب كثير ازدحام، وبعده أوقعنا ركعتين خلف المقام، وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم، وشربنا من ماء زمزم، ودعونا في ذلك كله بالأدعية المأثورة، ونظم كلماتها المنثورة، فعاودنا بالحجر بالاستلام، ناوين سنة السعي كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام، فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا، كما روي عن معدن

[1] عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، د الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2003، ص 89.

[2] عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، ج/1، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة، ط/2، ص 138، 139.

[3] عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية و طرق تدريسها، ناحية التحصيل، ط1، د المعارف 1986، ص 37.

الصفا، وبدأنا بما الله به بدا ... >>[1] . يصف لنا الورثيلاني وصوله لبيت الله والطواف بالكعبة عند وصوله وشربه من ماء زمزم والدعاء، و يذكر بقية مناسك الحج.

- **طريقة سرد الأحداث**

عمد الرحالة إلى سرد الأحداث التي عاشها أو شاهدها في رحلته، فدوّن تفاصيلها، ونقل أحداث الواقع الذي صادفه، بأسلوب لا يخلو من التأثر بما عاشه وشاهده وما سمعه وقرأه في الرحلات التي كانت قبله وقد قدم هذه الأحداث متسلسلة من الناحية التاريخية وخاصة أحداث مناسك الحج. يذكر الورثيلاني حدث رمي الجمرات يقول : << ولما زالت الشمس توضأنا فخرجنا لرمي الجمار من غير تراخ ولا توان مبتدئين بالأولى التي تلي مسجد الخيف ثم بالوسطى وختمنا بالعقبة فوقفنا أثر الأولين بقدر الإمكان، مجتهدين في الدعاء لنا ولعامة المسلمين وخاصتهم وسائر الأحبة والإخوان، وما نسينا أحدا في ذلك المكان >>[2]. وبعد رمي الجمرات يحدثنا عن استقباله من طرف أحد الشيوخ يقول : << ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن علي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق ولم ينزل إلينا و قرأ لنا الفاتحة من هناك و نحن بالطريق و دعا لنا وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة >>[3] وصف دخوله لزيارة أحد الشيوخ لأخذ بركاتهم أن يدعوا لهم الله عزّ وجلّ أن يحميهم في ذهابهم وعودتهم لأهلهم سالمين. والحكي في الرحلة جاء بلغة واضحة إلتزم فيه الرحالة بسرد متسلسل لمناسك الحج.

- **الوصف:**

أخذ الوصف جزءا كبيرا من الرحلة، وهو الذي يحدد مسار السرد، من خلال وصف الرحالة الأحداث التي عاشها طيلة مساره والشخصيات التي قابلها و تأثر بها و تأثروا به، والأماكن التي زارها مثل المساجد، والأضرحة والقبور ووصف العادات والتقاليد، وكل ما لفت انتباهه مما هي

[1] الرحلة، ص 453.

[2] الرحلة، ص 468.

[3] الرحلة، ص 118.

ليست مألوفة لديه، << ولا ينهض الوصف بوظيفته السردية حتى يشمل المناظر الطبيعية والأخبار الخارجية : كالرياح والمطر والشمس والقمر والليل وما فيه من ظلام، ووصف الأمكنة الحضرية كالشوارع و الأحياء و المساحات الخضراء و وصف الأمكنة الطبيعية كالجبال والسهول و هلم جرا >>[1] وفي الرحلة اهتم الورثيلاني بالوصف اهتماما واضحا فهو الركيزة الأساسية في هذا الفن، حيث اعتمد عليه بشكل كبير في ذكر البلاد التي زارها والأماكن التي شاهدها أو أقام فيها أو مر بها خلال رحلته، وقد جاء وصفه يتسم بالدقة و الوضوح والتركيز على الجزئيات والتفاصيل كما في قوله واصف أحد الأودية << واد كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة و يذكر أن سيل المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية والإكرام يصل إليه وماؤه قبيح جدا إلا أن يكون عقب سيل فيحسن و به احساء كثيرة و أشجار ملتفة ووجدنا جل ماء آباره جيدا لقرب العهد بالسيل >>[2]

وما نلاحظه أن العادات و التقاليد تتغير من منطقة إلى أخرى رغم اشتراكهما في العربية وانتمائهم لدين واحد،

- **وصف الشخصيات**

1- وصف شخصيته (شخصية الحاج)

اهتم الورثيلاني بوصف الشخصيات التي قابلها في رحلته مركزا على بعض الشخصيات الأساسية كما قدم لنا وصفا لصورة الحاج عند الناس، يقول "المودن" بأن << الرحلة حكاية رحالة

[1] عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، د/ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 256.

[2] الرحلة، ص 409.

ارتحل إلى مكان ما بالجسد أولا ثم بالكتابة ثانيا >>[1] فشخصية الرحالة تسرد من منطلق واقعي وأحداث حقيقية سواء عاشها الرحالة أو من التاريخ.

وقد رسم لنا الورثيلاني صورته كشخصية اجتماعية محبوبة بين أهله و ناسه، يبرز هذا في قوله: << انفصلنا على حسن الانفصال و وقع البكاء والصراخ من أهل البلد لما كان من أنسهم بنا إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير و البركة وكل ذا بعد التحيل على المنع من السفر أصلا ورأسا فلما امتنعت كل الامتناع لم يبق إلا الصبر والتسليم لله >>[2] ويبدوا الرحالة فخورا برد فعل الأهل وبقيت الصورة راسخة في ذهنه طوال رحلته والعمل على أن لا يخيب ظنهم به، وأن يصدر منه كل ما هو جيد وملائم لمكانته كحاج، ولاحظ هذا من الاحتفالات وطريقة الاستقبال التي استقبلوهم بها << ذهبنا لبني عباس وبتنا عند الفضلاء الأشراف المحبين لنا جميعهم الصغير والكبير والذكر والأنثى وتكرموا و فرحوا بنا فرحا شديدا >>[3] وهذا الاستقبال يبرز مكانة الحاج عند الناس، ومازالت هذه المكانة إلى يومنا هذا، يقول الرحالة << بل فرحوا بنا فرحا شديدا فمنهم من يطلب الدعاء ومنهم من يقول لا تخافوا فلا بأس عليكم ولا ضرر لديكم وشيعونا إلى أن برزنا عن بساتين العمارة وأرونا الطريق التي نسبق فيها الركب أحسن الله إليهم وأجزل لهم الثواب >>[4] وفي طريق عودته استقبل استقبالا حارا من أهل وطنه << وصلنا زمورة فلما سمعوا بنا لقاء من بها من العامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم و غير ذلك من أنواع الفرح فكل يعزم علينا ويرغب في المبيت عنده إلى أن وصلوا إلى الفتنة والهرج بسبب ذلك >>[5]

---

[1] عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ص 202.

[2] الرحلة، ص 104.

[3] الرحلة، ص 22.

[4] الرحلة، ص 617.

[5] الرحلة، ص 806.

ومثلما نلاحظ أن السارد وبطل الرحلة شخصية واحدة و قد استعمل لذلك ضمير المتكلم بصفة الجمع للدلالة على مكانته الاجتماعية ككلمة " زرنا" "أحوالنا" " أصحابنا" استعمل ضمير المتكلم بصيغة الجمع أو ما يمكن أن نطلق عليه " الأنا النحن" << لتشهد أحوالنا وتقتبس أنوار أصحابنا >>[1] وهذا الأمر يكشف الغاية من الرحلة، فهي لا تكمن في وصف الأحداث والأماكن التي مر بها وإنما للرحلة هدف آخر، وهو التربية والتوجه وبيان بعض الأحكام الشرعية التي ينبغي بها توجيه الناس وإرشادهم إلى الخير وهو في كل ذلك يريد أن يكون عمله << خالصا لوجهه و عملا متقبلا بين يديه و حصنا حصينا من كل بلاء دينا و دنيا >>[2].

2- وصف الشخصيات الأخرى

الحياة التي عاشها الرحالة أثناء سفره تستدعي و جود شخصيات أخرى تشاركه في تشكيل صورة كاملة للرحلة ولذلك فكما وصف شخصيته ونظرة الناس إليه فإنه اهتم بذكر بعض الشخصيات الأخرى، فالرحلة متسمة بحضور شخصيات أخرى ساهمت في بنائها و هي :

1.2. العلماء و الأولياء

إن الحديث عن العلماء والأولياء في الرحلة، تقتضيه طبيعة الرحلة فلكونها رحلة دينية للحج وزيارة بيت الله الحرام فقد جاءت الشخصيات دينية مما جعل الرحالة يركز على العلماء والأولياء الصالحين الذين زار قبورهم وأضرحتهم من أجل نيل البركة من تلك الزيارة. قال في زيارته للنبي خالد بن سنان << مشينا لزيارة النبي سيدي خالد[3] عليه السلام على القول بنبوته >>[4] ثم بين هدفه من ذكر هؤلاء الأولياء قال : << إنما نذكر من ذكر من الإخوان والمحبين وبيان أوصافهم ليتحقق السامع بأحوالهم و يتصف بأوصافهم والأقل أن تحضر نده

[1] الرحلة، ص 810.

[2] الرحلة، ص 13.

[3] وهو سيدي خالد بن علي بن عمر بن علي بن خالد بن زكريا ولي صالح بولاية بسكرة و يقال عليه النبي سيدي خالد.

[4] الرحلة، ص 14.

بركاتهم >>[1] ولم تتوقف زياراته على الشيوخ وحدهم، بل تعدت لزيارة تلاميذهم وأبنائهم، تعرف عليهم واندمج معهم إذ قال: << واجتمعنا أيضا بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأسا سيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن باباس >> [2] وعادة ما تكون أسمائهم مقرونة بكلمة "سيدي"، "نفعنا الله به آمين"، "نفعنا الله ببركاته آمين" للمنزلتهم العظيمة التي يتمتعون بها بين أفراد المجتمع و تواضعهم و حسن المعاملة.

2.2. رفيق الرحلة

كما يقال " الرفيق قبل الطريق " يحدثنا الورثيلاني عن رفيقه وهو الشخصية التي تنقل معها الرحالة لبيت الله، والتي زارها وساعدته ووجهته في الطريق وكل من تواصلوا مع الشخصية الرئيسية من قريب أو بعيد، قد يكونون فلاحين، تجارا، سماسرة و غيرهم من الأفراد الذين صادفهم في رحلته، أشار إليهم بأسمائهم وأسماء مدنهم ومنهم من ذكرهم بأسمائهم <<... سيدي علي الحطاب فبتنا عنده >>[3] وقال عن أصحابه الذين فارقهم بعد العودة و الانتهاء من تأدية مناسك الحج << كذلك فلما حان الانفصال وتقارب الرجوع والانتقال تكدر القلب وتغير وحزن فأصابه قلق والله كادت الروح أن تزهق و هي تطير وإنما مسكهما قفص البدن فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان فعند ذلك تألمت الأجباح، و بدا منا البكاء والصياح، فلم يبق شيء لدى الفراق من أنواع الأرباح، فعزت النفوس أن تذهب مغربة وكذا أنفسهم جمحت أن تذهب مشرقة>>[4]

[1] الرحلة، ص 178.

[2] الرحلة، ص 15.

[3] الرحلة، ص 784.

[4] الرحلة، ص 743.

3.2. وصف قطاع الطرق

كما وصف الورثيلاني الشخصيات الخيرة، وصف كذلك الشخصيات الشريرة مثل قطاع الطرق واللصوص الذين يعتدون على قوافل الحج للسلب والنهب، وقاطع الطريق شخصية ينفر منها كل من يصادفها، لأنها شخصية معتدية، تتغص على الحجاج رحلتهم وقد تأخذ أموالهم وأمتعتهم وماشيتهم، وكل ما يملكون من المتاع. وقد ذكر الكاتب في رحلته تعرضه لقطاع الطرق ووقوع بعض الحجاج فريسة لهم خاصة للحجاج الذين يكونون في آخر القافلة، وهذا ما يشير إليه في قوله << و قع الصياح في آخر الركب أن فلانا و أصحابه قد أخذه اللصوص ... فلا ترى أحدا تأخر إلا أخذ وسلب أو هلك >>[1]

أما بالنسبة للآخر الكافر فهو غير موجود بكثرة ويعود ذلك إلى أن الرحلة تجري في مناطق إسلامية "الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، البقاع المقدسة". ولكن من خلال تقنية الاسترجاع يحدثنا عن رحلته السابقة للحج عام 1096 وما شاهده على يد الكفار في تلك المدينة حيث قال: <<حاصرها الكفار دمرهم الله تدميرا و ذلك أن يوم نزولنا بها بمنزل الركب بشق البحر إذا بسفن ثلاث ظهرت على متن البحر ثم تتابعت الفلك في اليوم نفسه إلى أن كملت اثنتين وعشرين سفينة فأقاموا عليها دمرهم الله بقية الثلاثاء والأربعاء و الخميس و الجمعة وأهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم ونكد جسيم وعناء شديد وليس فيهم مدبر ولا ذو رأي حميد أو نظر سديد بل أخذوا في نقل أمتعتهم من المدينة لخارجها وحريمهم إلى سوانيهم بالمنشية ولما رأينا ذلك تكلمنا مع وجوههم على فعلهم غير اللائق فيما يبدو لنا من إظهار الجزع والجبن لأعداء الله الكفرة >>[2]

[1] الرحلة، ص 393.

[2] الرحلة، ص 189.

الزمان و المكان في الرحلة

تقوم الرحلة أساسا على بنية السفر والانتقال مع تدوين الأحداث التي جرت و الزمن الذي استغرقته، إن الشخصية في الرحلة تكون متنقلة ولا تستقر في مكان واحد و يكون انتقالها وفق زمن محدد فمن غير المعقول أن نجد شخصية تعيش خارج الزمن، فالزمن يحيط بنا و بأعمالنا << يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخطى، بل حيثما استقرت بنا النوى، بل حيثما نكون وتحت أي شكل، وعبر أي حال نلبسها فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه >>[1] تقوم الرحلة على بنية زمانية ومكانية فهما جزءان أساسيان للسرد وتتبع المراحل والأماكن التي مرت على الرحالة فلا يمكن التخلي عنهما أو حتى على واحد منهما فهما مرتبطان ببعض، فقد جاء في << أفكار أنشتاين وفلسفته في الزمان والمكان فقد شغلت حيزا كبيرا في أبحاث النظرية النسبية، فقد اعتبر أنشتاين أن الزمن والمكان وجهان لعملة واحدة يرتبطان برابطة وثيقة وأطلق عليهما اسم الزمكان Space time وهما لا يفترقان عن بعضهما أبدا >>[2]

زمن الرحلة:

تلزم الرحلة على الرحالة التسلسل الزمني للأحداث، إلا أننا نجد أحيانا استعمال تقنية الاسترجاع بذكر أحداث ماضية كما هو الشأن في حديثه عن طرابلس في رحلته السابقة مما يجعلنا نقف أمام زمنين، زمن الحدث وهو آخر الزمن الطبيعي، وزمن الرحلة الذي يقابل زمن السرد في الرواية يعرفه جيرار جنيت بقوله: << هي دراسة الترتيب الزمني للحكاية ما، بمقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو تتابع

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، ديسمبر 1998، ص199.

[2] صباح إبراهيم، الزمان و المكان في النظرية النسبية لإنشتاين، الحوار المتمدن–العدد:3918– 21/11/2012.

الزمنية نفسها في القصة >> [1] وعندما يكون نوع الرحلة حجازيا يكون الزمن فيها محددا معلوم بدايته ونهايته فأي تأخير فيه يلغي الحج، قال تعالى << ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ >>[2] وعليه فإن الرحالة يكون حريصا كل الحرص على الوقت والمدة التي يقضيها في رحلته. ولكل بداية نهاية وفترة زمنية محددة و هذا في الحياة عامة وخاصة حياة الإنسان فهو يعيش لتأدية رسالة معينة في فترة زمنية معينة. يمكننا أن نقسم الفترة الزمنية للرحلة إلى ثلاثة أزمنة رئيسية كما هو موضح في المخطط التالي :

- زمن الرحلة

1- زمن الذهاب ⟵ ألم فراق الأهل والوطن، الشوق لزيارة بيت الله الحرام و لقاء المصطفى عليه الصلاة و السلام.

2- زمن الأداء ⟵ الخشوع و الرغبة في التطهر من خلال الحرص على أداء المناسك على وجهها الكامل.

3- زمن العودة ⟵ فراق الرسول عليه الصلاة و السلام و الشوق للقاء الأهل.

زمن الذهاب :

هو زمن غير واضح، ومع ذلك يعيشه الإنسان ويتأثر به، ويرتبط بالحالة النفسية للرحالة فهو من أصعب المراحل التي قد تواجه الرحالة في بداية تنقله، تكون فيها مشاعره متناقضة بين شوقه وحبه لرؤية بيت الله، وفراق الأهل والوطن.

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر محمد معتصم و عبد الجليل الأزدي و عمر الحلي، منشورات الاختلاف، ط3، الجزائر 2003، ص 47.

[2] سورة البقرة الآية 197.

يبدأ زمن الذهاب في الرحلة مع توديع الرحالة لأهله وأصحابه حتى وصوله لبيت الله، لاشك أنه يوجد زمن يسبق هذه الفترة وهو زمن التحضير، من خلال رحلة أولية قبل الرحلة الرئيسية وتكون بزيارة أهل العلم، الشيوخ، الفقهاء، أضرحة الأولياء الصالحين لأخذ ببركاتهم <<لعل الله بذكرهم يزيل الحجاب عنا ويرزقنا الوهب الرباني لي ولذريتي ولمن تعلق بي وأن يحفظني من العوائق عن الوصول إلى الله و إن يجمع شملنا و يرزقنا ما زرق به أهل وده و ليس لك إلا بالتسليم لهم مع محبتهم و كذلك بالتعظيم لأولادهم لقوله تعالى كان أبوهما صالحا >>[1]

بعد إنهاء الرحلة الأولية أو الداخلية يبدأ زمن الذهاب الرئيسي، يكون يوم مغادرة الوطن وتوديع الأهل والأقارب << خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن والبركة، في كل سكون وحركة، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ثم بقينا كذلك على التوديع إلى أن غربت الشمس بل إلى صلاة العشاء والناس تقدم إلينا لتذكرنا الانفصال، والافتراق والانتقال >>[2] هو اليوم الذي يختاره العديد من الرحالة المسلمين لبداية رحلاتهم منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أشهر الرحالة الذين بدؤوا رحلاتهم بيوم الخميس "ابن جبير"، "العياشي"، " ابن خلدون" وغيرهم.

ما نلاحظه أن الشيخ الورثيلاني لم يحدد زمن رحلته و لم يذكر الشهر واليوم الذي شدّ فيه الرحال و لكنه أشار إلى السنة التي ذهب فيها قال : << اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة وألف (1179) >>[3] لم يقدم زمنا دقيقا للرحلة منذ الانطلاق حتى وصوله لبيت الله وحصره في عدد صفحات الكتاب التي بلغت حوالي إحدى وخمسين وخمسمائة (551) صفحة، لقد تميز تعامل الرحالة مع الرحلة عدم ذكره للتواريخ و أحيانا ذكر اليوم دون التاريخ كاملا << ثم ظعنا صبيحة يوم الثلاثاء إلى أن وصلنا إلى قصر الطير >>[4]. قال في موضع آخر: << ثم ارتحلنا من ذلك الموضع يوم السبت

[1] الرحلة، ص 104.

[2] الرحلة، ص 107.

[3] الرحلة، ص 13.

[4] الرحلة، ص 110.

وبلغنا وادي الرمل قبل الظهر ووجدنا به غدرانا من الماء غدرها السيل >>[1] كان اهتمامه الكبير بذكر الأحداث الرحلة، وتحديده للزمن يكون مرتبط بيوم من أيام الأسبوع أو توقيت الصلاة.

زمن الأداء :

يعتبر زمن الأداء الزمن الأساس والأهم في الرحلة وتمتد فترته من الإحرام إلى نهاية أداء مناسك الحج، من نهاية زمن الذهاب إلى بداية زمن العودة، تميزت رحلة الورثيلاني بالتسلسل الزمني للأحداث، يبدأ زمن الأداء لحظة وصول الرحالة إلى بيت الله الحرام و الشروع في تأدية مناسك الحج، ولا شك أن هذه الفترة هي الأساس في الرحلة ففيها تفتح أبواب البهجة والفرح للوصول للمكان المقدس وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام، التقرب من الله عزّ وجلّ، تطهر من كل ذنوب، الإحساس بالطمأنينة والراحة النفسية، وتغلق أبواب تعب ومعانات الطريق، والحزن وآلام فراق الأهل و الوطن.

لم يحدد الرحالة الفترات الزمنية و لم يؤرخها و ركز على ذكر أيام الحج المعروفة عند المسلمين << فقد بت في الحرم والله أعلم و بعد ذلك اليوم هو يوم الذهاب فيه لمنى ثم إلى عرفة ثم إلى مزدلفة في الرجوع >>[2] وقال في موضع آخر : << ولما كان اليوم الثامن هو يوم التروية وزالت الشمس طفنا فخرجنا لمنى >>[3]، حددها في مجموعة من الصفحات إمتدت من الصفحة 443 إلى الصفحة 639.

زمن العودة :

لكل بداية نهاية، ونهاية الرحلة كانت بعد الانتهاء من الفريضة، وهو زمن العودة، ويبدأ مع نهاية زمن الأداء، و يكون على نفس مسافة الذهاب و لكنها تختلف على حسب الحالة النفسية للرحالة ما يصادفه في رحلته فهي تتحكم في وصوله في مدة قصيرة أو طويلة، قال الدكتور عبد

[1] الرحلة، ص 384.

[2] الرحلة، ص 455.

[3] الرحلة، ص 457.

الملك مرتاض : << فالمدة الزمنية من حيث هي كينونة زمنية موضوعية لا تساوي إلا نفسها، ولكن الذات هي التي تحول العادي إلى غير عادي و القصير إلى طويل ؛ كما تعمد هذه الذات نفسها إلى تحويل الزمن الطويل إلى قصير في لحظات السعادة و فترات الانتصار>>[1] ومشاعر الرحالة في هذه الفترة عكس ما كان في بداية الرحلة كان اشتياقه الكبير لرأيت البقاع المقدسة، وبعد الانتهاء من أداء فريضة الحج، تألم و تأسف لفراق، عبر عن هذا في قوله : << فلما لاح لنا لائح الافتراق، وانقدح زناد الاشتياق، تحركت الأحشاء، وذابت الأكباد وانهمرت العيون بالبكاء، وأصابت النفس العبرة فكادت أن تزهق الروح من شدة ما أصابها من ألم الفراق واضطرم القلب وانحراق من قوة ما وجد من عذاب البين ومفارقة الصديق الأمين صلى الله عليه وسلم فلم يوجد زمان أحلى وأعذب من زمان الوصول إليه ومشاهدة حضرته والتلذذ في محاسن روضته ولا أشهى من الوقوف بين يديه >>[2]. ويذكر الرحالة أن زمن العودة استغرق عاما كاملا قال: <<وصلنا إلى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام 1181 هـ أحد وثمانين ومائة وألف >>[3]

الاسترجاع

وهو زمن يقطع الزمن الأساس والرجوع لأحداث جرت في زمن سابق وينقسم الاسترجاع إلى <<استرجاع خارجي، وفيه يظل الحدث الذي يتم استرجاعه خارج الإطار الزمني للمحكي الأساسي و استرجاع مزجي، وفيه يلتقي الاسترجاع بلحظة بداية الحدث الأساسي>> [4]

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 205.

[2] الرحلة، ص 610.

[3] الرحلة، ص 812.

[4] أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 69.

عادة ما يوظف السارد في نصه تقنية الاسترجاع، قد تكون عن قصد وقد تكون عن غير قصد وتفرضه طبيعة الكتابة التي تجعل الكاتب يتذكر أحداثا وتواريخ في الزمن الماضي، وعادة ما تكون هذه التقنية في النصوص التاريخية.

وقد وظف الورثيلاني في رحلته تقنية الاسترجاع وذلك من خلال إشارته لأحداث شاهدها وواجهها في رحلته الحجية السابقة، وما قرأه من رحلات أخرى كرحلة الناصرية لمحمد بن عبد السلام الناصري[1] ورحلة العياشي لأبي سالم العياشي ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن مدينة زمورة حيث يصفها بقوله: <<وفيها قائد، ولأهلها سائد، بهم يظلم، وكيدهم في نحورهم دائم، يسعون ببعضهم بعضا، قد أهلكوا ولم يكن من الله الرضى، وبسبب ذلك اضطرمت نار الفتنة، وحقت عليهم كلمة اللعنة... بأنفسهم عذبوان وبرأيهم أصيبوا ... و زمورة علمها قليل، وجهلها جليل، كثيرة اللهو اللعب>> [2]، يصف الرحالة حال زمورة في زمن ماضي قبل وصوله إليها، وذلك بواسطة تقنية الاسترجاع لما شاهده عن هذه المدينة في رحلته السابقة، ويعرف هذا الاسترجاع عند بعض النقاد بالاسترجاع المزجي باعتباره ارتداد لفترة زمنية داخل إطار زمن المحكي الأساسي. وظف أيضا الرحالة استرجاعا أخر وهوالاسترجاع الخارجي وهو ذلك الاسترجاع الذي يستعيد أحداث ترجع إلى ما قبل بداية الرحلة في قوله: <<قال الإمام العياشي في رحلته... إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة... ولقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل... ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة... وسيدي عبد الواحد والد سيدي محمد المحدث عن صلاح هذا السيد كان من أصحاب والدنا رحم الله جميعهم وكان في حجتنا الأولى التي حججناها مع الوالد رحم الله جميعهم عام (1076) ستة وسبعين وألف في قيد الحياة >> [3]

[1] أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن الناصر الدرعي، أبو عباس المدعو بالخليفة، اشتهر بالعلم والتصوف صاحب الرحلة الناصرية الكبرى

[2] الرحلة، ص 108، 109.

[3] الرحلة، ص 117، 118.

وما نلاحظه هنا إكثار الكاتب من تقنية الاسترجاع ولهل ذلك يعود إلى اعتماده على الرحلات السابقة.

الاستباق

الاستباق هو << كل مقطع حكائي يثير أحداثا سابقة لأوانها بمعنى أن تذكر أحداثا لم يبلغها السرد بعد >> [1] وهو رؤية الهدف وما سيحصل في زمن المستقبل وهذا ما يجعل المتلقي متابعا للسرد وتصور الأحداث، و الاستباق يدفع بالكاتب إلى قلب تسلسل زمن رحلة حيث يقدم ما يجب تأخيره و يؤخر ما يجب تقديمه، وهذا ما يعني أنه يسبق الأحداث.

أما الاستباق فقد ورد بشكل أقل من الاسترجاع في هذه الرحلة من ذلك ما ذكره على لسان أحد الشيوخ سيدي عبد الحق من أنهم سيتعرضون لهجوم من بعض المحاربين، وفي أثناء الطريق يتعرض الورثيلاني لهذا الهجوم بالفعل يقول الكاتب: << وعند الافتراق أزال جبة صوف عن جسده فالبسها لي وعلمت أن الله تفضل علي بذلك ثم انه عند الانفصال قال لي أخاف عليكم من المحاربين بان قال قد ثبت عندي بأنهم خارجون إليكم ولا أدري أذلك من طريق الكشف وهو الأنسب به والأليق بمقامه أو سمع ذلك ممن يوثق به فلما أخبرني بهذا رسم جدولا في الأرض وخط خطا وأمر جميع الحجاج أن يمروا بذلك الخط فمر عليه... وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله...>> [2] وكان هذا تنبيها لما سيحصل للرحالة أثناء سفره وقد أشار إلى حقيقة و مصداقية هذا التنبؤ.

[1] قسومة الصادق، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، دار الجنوب، تونس 1992، ص52.

[2] الرحلة، ص 153، 154.

المكان في الرحلة :

عادة ما تشمل الرحلة أماكن كثير ينقلها الرحالة ويصفها في رحلته، فتبدأ رحلة الحسين من بني ورثيلان الجزائر إلى الحجاز مكة المكرمة، و للوصول للمكان المراد يمر على عدة محطات منها تونس، طرابلس ومصر .

المكان الأصلي (الانطلاق) :

بدأ انطلاق الرحلة من قرية بني ورثيلان مكان مسقط رأس الرحالة الحسين الورثيلاني والمكان الأصلي له و لأهله و أهل قريته، فمن الطبيعي أن تكون العلاقة حميمة، يكِن لها كل الحب والمشاعر الجياشة، ومن الصعب تركها وذهاب لمكان آخر ويشتاق إليها بعد فراقها والابتعاد عنها لمدة طويلة، و يعود حبه أيضا لوطنه الكبير الجزائر يقول :

حقـــي علـــى الأوطـــان بالرعايـــة وحقهـــــــم علـــــــي بالهدايـــــــة

مـــا أصـــعب توديـــع للأحبـــاب و عنـــــده بـــــالحزن و اكتئـــــاب[1]

فقبل ذهابه للبقاع المقدسة قام بزيارة الشيوخ و العلماء و الأولياء الصالحين الأحياء، وأضرحة وقبور الأموات عبْر ولايات الوطن المختلفة من بجاية، بسكرة، قسنطينة و غيرها يقول :<< بدأنا بزيارة الذاكر لله كثيرا الفاضل الصالح الفقيه المحلى بحلية القبول سيدي محمد بن سعيد الشريف البابوري و قد اجتمعت معه حيا>>[2] و قال أيضا : << و قد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها أيضا مع أهل الفضل و العلم و زرنا أيضا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته المشهورة فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره ... وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالدا >> [3] لتوديعهم وأخذ بركاتهم ويتذكرهم في كل خطوة خطاها في الغربة بعيدا عنهم، وفي كل

[1] الرحلة، ص 105.

[2] الرحلة، ص 23.

[3] الرحلة، ص 16.

كبيرة وصغيرة، زيارة المساجد والأماكن المقدسة يقول : << وزرنا مسجدا وطلعنا إلى مآذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وإدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء>>[1]، ويرى الفرق بين وطنه والأوطان الأخرى سواء كانت إيجابية أو سلبية << وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهدما قد جدد أو واهيا قد أصلح بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه أن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص وإن كان مجصصا أن يعاد بطين>>[2]. وكانت المبالغة في إقامة المساجد وتزينها في المشرق بينما في المغرب نجد المساجد ينقلب عليها البساطة وعدم الإسراف في البناء، ولعل هذا ما جعله يعقد هذه المقارنة بين مساجد المشرق ومساجد المغرب. ونخلص إلى طبيعة المغاربة في البساطة وعدم المبالغة في تزيين. كما حرص على التعرف على مختلف شرائح المجتمع في الأماكن التي زارها من أدباء وشعراء وعلماء وشيوخ.

المكان الآخر:

هو المكان الذي يفصل بين مكان الانطلاق الأصلي إلى غاية دخول المكان الهدف وبالنظر لطبيعة الرحلة حجازية (الذهاب لقضاء مناسك الحج) ينقسم المكان إلى قسمين: مكان مقدس ومكان غير مقدس. وبما أن المكان الهدف بيت الله الحرام مقدس فإن المكان غير المقدس هو جسر للوصول.

المكان الآخر هو جسر العبور الذي مر به الرحالة أثناء رحلته وفق المناطق الجغرافية المتواجدة على الخريطة، وتتمثل في مجموعة من الدول المتسلسلة التي تفصلها حدود بسيطة للوصول إلى الهدف وهي: تونس، ليبيا، مصر وكلها دول مسلمة ما يجعلها متقاربة في عدة مجالات منها اللغة وخاصة الجانب الديني ولكنها تختلف في العادات والتقاليد وطبائع البشر، ما يجعل الرحالة يحتك

[1] الرحلة، ص 117.

[2] الرحلة، ص 319.

بنماذج بشرية جديدة ويتعرف على أفكارهم وثقفاتهم وكل ما هو مختلف عن وطنه في مسيرته وعلى هذا << يصبح المكان ليس فقط للعبور، وإنما للتزود بالزاد والمعلومات والحكايات والتجارب، مما يجعل العبور أخصب مرحلة في الرحلة، نظر لتعدد الأمكنة و تنوع التجارب من جراء اللقاءات والصدمات و المفاجآت >>[1] وبعد خروج الرحالة ومفارقة حدود وطنه يبدأ احساسه بالغربة، ويصبح أكثر انفعالا جراء ما سيواجهه من عقبات ومشاق الطريق، سواء كانت طبيعية أو بشرية، ومن الطبيعي أن المسافر يواجه أخطارا في أماكن معينة وأخرى تكون آمنة، وبهذا يمكننا تقسيمه إلى قسمين : مكان إيجابي ومكان سلبي.

المكان الإيجابي :

لا يمكن إطلاق وصف المكان السلبي أو الإيجابي من تلقاء النفس بل يحدد طبيعة المكان أهله القاطنون فيه والرحالة الذي زاره واحتك به و ما وقع له من خير وشر، وترحيب في الاستقبال من قبل أهل المنطقة، ولا يقتصر هذا على البشر فقط بل ممكن أن يكون المكان في غاية الروعة ولكن الرحالة يصنفه ضمن الأماكن السلبية و يعود هذا لما رآه وسمعه أثناء بقائه فيه، فالمكان يؤثر و يتأثر بساكنيه.

ومن الأماكن الإيجابية التي صورتها الرحلة بلاد قسطيلية التي عبر عنها الورثيلاني بإعجابه <<قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب وفيها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة حولها رياض واسعة >>[2] هذه الصورة التي قدمها الورثيلاني لهذا المكان يجعله يحمل دلالة العظمة والقوة من خلال ما فيها من المباني والأسوار والجوامع و الثمار وكثرة النخيل وقال في مدينة تبرسق أنها << قرية ذات بساتين ومياه و مزارع كثيرة. حاصله فيها زرع و ضرع كثير وسوق في الأسبوع يأتي إليه الناس من بعد عامر ممتليء فيه ما يباع كثيرا وقد لقينا ولد المحب في الله والأخ من أجله محب الصالحين والعلماء العاملين قائد بنور قائد تلك القرية ...

[1] شعيب حليفي،الرحلة في الأدب العربي، ص 221.

[2] الرحلة، ص 775.

أكرم نزولنا وأحسن إلينا في الضيافة إحسانا تاما أعد لنا أجود الأطعمة وأطيب الطبائخ>>[1] نعت الرحالة المكان بالإيجابي لما شاهده فيه من خيرات القرية وأهلها وحسن المعاملة وكرمهم للضيف، ورزق الله تعالى القرية من خيرات الطبيعة لكرم أهلها وتعاملهم مع الزوار أحسن استقبال ويقدم لهم ما هو موجود عندهم من أكل ومأوى وغيرها.

المكان السلبي :

لا ترتبط سلبية المكان بالمكان بحد ذاته بل يعود إلى الأشخاص القاطنين فيه والعابرين، وينعته الرحالة بالمكان السلبي لما صادفه من ظلم وإهانة، فتهان كرامته أو يسرق ماله، وهذا ما يجعله يهجوه و يهجو من فيه قال عنهم << غريبة عرب هذا الجبل من أشد العرب كفرا ونفاقا لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله ليس عندهم من الدين إلا اسمه لا حرفة لهم بعد تنمية المواشي إلا النهب و الغارة قل ما مر بهم ركب فسلم من انشاب الحرب بينهم و بينه بسبب غدرهم وفتكهم>>[2] ونلاحظ هنا أن الرحالة لم يشير إلى المكان وإنما وصف أهله وبسوء أخلاقهم، بشاعة أعمالهم من ظلم واعتداء على الزائرين وهذا يجعلنا نطلق عليه صفة المكان السلبي فهو مكان غير آمن، إلى أنه ملزم بالمرور عليه للوصول إلى هدفه وما عليه إلا أن يتحل بالصبر والدعاء ليحميه الله تعالى أثناء سفره. << وصلنا إلى إمبابة وجاهة بولاق فنزلنا فرادى ونزل معنا بعض الركب وبقينا أياما هناك غير أن الناس لم ينزجروا عن التعدي عن زرع الناس بل حصدوه و رعوه بالإبل والفلاحون يتشكون و يبكون و يتباكون فنهيناهم و زجرناهم بل ضربنا بعضهم فلم ينزجروا بل زادوا ظلما وعدوانا >>[3]

المكان الهدف (الوصول) :

كان شوق و لهفة الرحالة تحدد المسافة التي بقيت لوصوله للمكان المراد وإحساسه بالراحة التامة من الناحية النفسية والجسدية بعد المشاق التي خاضها مع قطاع الطرق و فقدانهم لبعض

[1] الرحلة، ص 787.

[2] الرحلة، ص 270.

[3] الرحلة، ص 336.

من الإبل و أصحابه الذين صاحبوهم أثناء الرحلة فكان وصولهم إلى مكة سببا في زوال كل تلك المشاق وتحول تعبهم إلى راحة وفرحة << فدخلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل قد زال التعب والنصب كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله بل الأرواح قد تجلى عليها ربها فخرت صعقة مغشية عليها فغيبها عن الأكوان كلها بمشاهدة مكونها >> [1] بعد وصوله لمكة رغم تعب الطريق و ازدحام الناس إلى أنه كان يغمره الفرح و البهجة بما أهداهم الله تعالى من نعمة رؤية بيته الحرام.

يصف البهجة والإحساس الذي يغمر والدهشة بعد رأيته لقبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وأخذ بركاته يقول : << ذهبنا إلى الحرم الشريف، والمسجد المنيف، إلى أن وصلنا فدخلنا من باب السلام، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، ولقد تاه القلب في الجلال، والبهاء والكمال، وانبسط علينا النور في الحال، و كنا في التنقل في مراتب التجلي أعز انتقال، فاطمأن الفؤاد وطاب الحمد و الثناء على الوصول إلى روضة المتعال، فبلغ القلب مناه >> [2] وصف وصوله هذا بأحسن وصول و سلم عليه يقول :

وصـــلنا إليـــه واتصـــلنا بقربـــه فللـــه مـــا أحلـــى وصـــولا وصـــلناه

وقمنـــا وســـلمنا عليـــه وانـــه ليســـمعنا مـــن غيـــر شـــك شـــككناه[3]

يستعمل الكاتب أو المؤلف في كتاباته أجناسا أدبية متنوعة لتوضيح الفكرة وتأكيد المعنى، قال "عيسى بخيتي" في كتابه " أدب الرحلة الجزائري الحديث " : << بالإضافة إلى كونها

[1] الرحلة، ص 452.

[2] الرحلة، ص 530.

[3] الرحلة، ص 532.

أدبا فهي تشكل باقة من الأجناس الأدبية التي تتداخل وتشترك معها في عدة خصوصيات كالسيرة الذاتية، والتراجم، والحكايات، والرسائل، والتصوف، والكرامات، والشعر>>[1]

- **تداخل الأجناس الأدبية**

تعد ظاهرة تداخل الأجناس من الظواهر التي تميز النصوص قديما وحديثا، حيث نجد حضورا واضحا لبعض الأجناس الأدبية داخل هذه الرحلة و من هذه الأجناس نذكر الشعر الذي أصبح وسيلة تسهم في تشكيل نص الرحلة وبنائها. وعادة ما لا يكتفي النص بذاته فقط، بل يحتاج إلى جنس أدبي آخر يساعد في تقديم تصوير لفترة زمنية سابقة أو تبليغ رسالة.

- **الشعر**

واعتمد الشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته إدخال أجناس أدبية متنوعة، منها الشعر والذي جاء على شكل قصائد وأبيات قصيرة ومن القصائد التي جاءت في رحلته ما قاله في سيدي الصادق و أولاده من ذلك نأخذ هذا المقطع :

- قال في سيدي الصادق و أولاده

يـا أيهـا الإنسـان فـاعلم قـدرهم لأنهـم سـحابة مـع غيـثهم

قد اخضرت أشجار أهل العصر وأثمـرت فواكهـا بتمـر

فهـم كحصـن مـانع يلـوذ مـن لـه الجنايـة بحـق أو ضـمن

رحمـتهم تعـم كـل بلـد وسـرهم مـن سـر فضـل أحمـد

قـد سـكروا بحبـه وقربـه فمنحـوا مـن عـزه و حلمـه[2]

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، ص 16.

[2] الرحلة، ص 83.

نظم الحسين الورثيلاني هذه القصيدة مادحا الولي الصالح والقمر الواضح سيدي الصادق وأولاده ووصفهم بأحسن الصفات لمكانتهم الكبيرة كعلماء وفقهاء في عصرهم، وتحدث عن دورهم في نشر العلم و أعمالهم الخيرية بين أهل البلد، ووصفهم بالسحابة إذا نزل منها غيث ارتوى الشجر و أثمرت فواكهه .

كما وظف الحسين الورثيلاني شعر أساتذته في التعبير عن حبه للشيوخ، رجال العلم، وبعض الأمراء و الشخصيات، هناك من مدحهم ومن رثاهم زروق البرنوسي[1] وذلك في قصيدة طويلة. وكتبها بغرض << مدحه والاستغاثة به لتزول عنا حجب، حيث مدح أحمد الغفلة وكدرات النفس وغطاء البشريات ولعلي أرقى إلى مراتب التجليات وأشرب من عين اليقين وأتحلى بحلية المعارف >> [2] حيث يقول :

ألا أيها القطب الهمام تعلقت مجـامع قلبـي بالسـعيد المنـور

شغفت بحبه لأنه مذ بدا يقـوم بـأوراد ويسـعى بـا جـدر

فقد دنقت نفسي بأوصاف ما به تحلـى أمامنـا مـن كـل مصـور

مـن الـذي أبـدع الإلـه فـي رسمه مـن أحسـن زينـة و أحلـى تـذكر

فطبعه قد أسبى من الناس أفكارا ولفظـه قـد أعمـى بصـائر بالسـحر[3]

يصف الرحالة في هذه الأبيات بركة الحج، وأطلق عليها هذا الاسم لأنها كانت محطة التي يجتمع فيها الحجاج بطريق البر من القاهرة، واصفا أشجارها و نخيلها والثمار الجيدة، وهوائها النقي ونسيمها الرائق، مائها العذب و حبهم لزيارة هذا المكان. قال :

[1] أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزرّوق الفقيه المالكي المعروف..صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية و قام بحركة تصحيحية لمسيرة التصوف.

[2] الرحلة، ص 247.

[3] الرحلة، ص 248.

فـــي بركـــة الحـــج تـــرى نخـــلا زهـــا لكـــن عجـــب

زبـــر جـــدا يحكـــي ومـــا ثمـــــــاره إلا ذهـــــــب

فيهـــــا نســـــيم رائـــــق بلطفـــــه يشـــفي الوصـــف

و الطيـــــر فـــــوق مائهـــــا يشـــــدو بـــــأنواع الطـــــرب

فيـــا لهـــا مـــن بركـــة تبلـــــــغ القلـــــــب الأرب

عوذتهـــا مـــن طـــارق و غاســـــــق إذا وقـــــــب[1]

وهناك نصوص شعرية أخرى وظفها الرحالة و لا يتسع المجال لذكرها و لذلك نكتفي بالإشارة إليها من خلال هذا الجدول التالي :

القصيدة	صاحبها	في من قيلت
شمس النهار أشرفت بضرتها عند الظـــلام منجـــل مـــن نورهـــا	الورثيلاني	سيدي الموهوب و أمثاله
ومعه الحبر الهمام في الوغي مكافحا مناضـــــلا وقـــــد بغـــــى	الورثيلاني	سيدي عبد القادر
مدده قد يغني كل من سأل وجوده قد عـــــم قطـــــرا واشـــــتمل	الورثيلاني	سيدي المسعود
بحر الندى والعلم من شيخ برز شيخ الحقيقـــــة لـــــدينا مكتنـــــز	الورثيلاني	سيدي محمد

[1] الرحلة، ص 383.

يـا أيهـا الإنسـان فـاعلم قـدرهم لأنهـم سـحابة مـع غيـثهم	الورثيلاني	سيدي الصادق و أولاده
جدوا حقايا ذا الفضل فيض إذ شهر أنـواركم تعطـي لنـا حلمكـم	الورثيلاني	واحد من اولاد سيدي محمد صالح سيدي علي بن محمد ظاهر
حقـي علـى الأوطـان بالرعايـة وحقهم علـي بالهدايـة	الورثيلاني	توديع الوطن
نزلنـا بقـابس فشـفينا فيـه غليـل القلـب مـن شـوق اصـهابة	الورثيلاني	الأحب أبو العباس البرنسي الشفشاوني
أيـا سـيدي خفـف بـاني عبيـدكم ذليـل حقيـر بـين قـوم أراذل	الشيخ سيدي احمد بن ناصر	سيدي أحمد بن عبد الواحد بن يوسف الزنزوري
أبـا الخيبري وأنـت امرؤ ولـوم العشيرة شـتامها	مجهول	ذكر ما تقدم من ذبح بعير حاتما
سنة أزمـة تخيل بالنـاس ترى للعضـاه منهـا صـرير	أمية ابن أبي الصلت	أزمة التخيل
دخـان داء لا دواء مـن شـربه قلبـي انكـوى	سيدي احمد بن ناصر	أبو الحسين الزعتري
قصيدة دالية لعمـرك أن أخـذت إخـاء قـوم فـلا تعجـل بتوكيـد الـوداد	مجهول	فرعون

وجوابي أنها حل و لا يقتضي ما قلتم تحريم عين	العلامة رضا الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي	للشيخ علي بن محمد بن عراق
القصيدة البائية لا تعترض من تراه تكتب من الأحباب	الشيخ محمد القبري	عبد الوهاب الشعراني
القصيدة الهائية درب الحجاز مشقة لكن إذا الجمال هان تسهلت أهواله	الورثيلاني	العلامة الصلاح الصفدي
القصيدة الهائية فكم حامدكم ذاكركم مسبح وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه	مجهول	الجميع يرغبون في المغفرة من الرحمان
القصيدة الهائية وردت إلى البيت الحرام وفودنا تحن له كطير حن لمأواه	مجهول	الحنين للبيت الحرام
القصيدة الهائية وكم موقف فيه يجاب لنا الدعاء دعونا به والفضل فيه نوينا	مجهول	في وداع وفد الله
القصيدة الدالية خليلي ما للعيس في سيرتها تعدوا ومن قبل اعيت من يسوق ومن يحدو	أبو سالم	رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقوف عند روضته
وصلنا إليه واتصلنا بقربه فلله ما أحلى وصولا وصلناه	الورثيلاني	زيارة النبي عليه الصلاة والسلام

على ساكني بطن العقيق سلام وان اشـــــهروني بـــــالفراق وقـــــاموا	عبد الرحمان	لأم يوسف
يا سلائلا عن الطرفاوي تذكر رائحة النـــــــرجس فيـــــــه تعطـــــــر	سيدي احمد بن ناصر	البلاد المشرقية
باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم ينفعهم القلل	للإمام علي كرم الله وجهه كما في ديوانه	الـوطن يقـل فيـه الحـلال ويكثر فيه الحرام
أيا راغبا فضل الصيام تطوعا عليك بأيـــــــام روتهـــــــا الأوائـــــــل	مجهول	في فضل صيام التطوع

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن الورثيلاني قد ضمن رحلته العديد من النصوص والمقاطع الشعرية، منها ما هو نظم الكاتب، ومنها ما أخده عن بعض العلماء والفقهاء، والمشايخ، وأغلب هذه الأبيات ينتمي إما إلى غرض مدح الشخصيات والشيوخ، أو في الذم والهجاء، أو التعبير عن قضايا دينية اهتم بها الكاتب مثل ذكر فضل صيام التطوع، ووصف الأماكن المقدسة كروضة الرسول عليه الصلاة والسلام وغيرها.

- **الحكم و الأمثال :**

وظف الكاتب العديد من الحكم و الأمثال في نص رحلته ومن الأمثلة على ذلك نذكر :

- << الناس حوانيت مغلقة فإذا تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار لأن الكلام صفة المتكلم.>>[1]

[1] الرحلة، ص 197.

قيمة الكلام الجيد من الرديء الذي تتحكم في حالات النفسية للشخص فكلما كان الشخص صامتا كلما صعب علينا تحديد مزاجه وطريقة تفكيره وميولاته وعندما يتحدث سرعان ما تكتشف شخصيته أي بمعنى آخر الكلام يحدد ملامح ومعالم شخصية المرء.

- << و يعرف صدق المرء بثلاث عند مغاضبته أن لزم الحق و اتصف بالصدق و سامح الخلق فهو ذاك و إلا فليس هناك >> [1]

أي أن الإنسان الراجح كامل البناء السوي الحليم ذاك الذي إذا استفض كان حكيما تعرف بحكمة والثبات يميل حيث مال الحق لو كان على نفسه أو أقرب أقربائه ويكون صادقا في أقواله وأفعاله مسامح عفو عن الناس و إذا كان غير هذه المواصفات فهو أحمق الخلق.

- << و شرف العلم بشرف معلومه >> [2]

أي أن قيمة العلم و درجته مرهونة و مبنية على المعلومات و البحث الذي يتوصل إليه المبني على الجد و التحرك و التمشية.

- << إذا أراد الله خلاء بلد بدا ببيته ثم يتبعه ما سواه وإذا أراد عمارته فكذلك >> [3]

إذا أراد الله أن يرزق بلدا الخير، أو الشر فتكون البداية من أساس البلدة وهي البيوت ثم تنتقل إلى البلدة أجمع.

- << فإنهم ذئاب في ثياب >> [4]

لا تنظر إلى الناس من خلال المظهر فكم من إنسان يظهر لك عكس ما يبطن مثل (يأتيك بلسان أبي بكر و يقلب أبي جهل)

[1] الرحلة، ص 197.

[2] الرحلة، ص 179.

[3] الرحلة، ص 319.

[4] الرحلة، ص 337.

- << و قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرء مخبو تحت لسانه فإن تكلم فمن حينه وإن سكت فمن يومهم >> [1]

أي أن الإنسان يعرف و يحكم عليه من خلال لسانه، و من طريقة كلامه مع الآخرين.

- **توظيف القصة التاريخية**

إن دخول القصة على آداب مختلفة تجعلها تأخذ طابعا من الأحداث القديمة والتاريخية، حيث تحضر القصة الموظفة في النص تزخمها وقد وظف الحسين الورثيلاني عدة قصص التي كان كل ما مر على منطقة أو بلد أشار إليها بقصص تاريخية تنسب لها منها :

- **قصة مدينة القلزم**

وهي مدينة مر بها الرحالة أثناء رحلته الذي قال عنها أن << مدينة القلزم التي ينسب إليها هذا البحر وبالقرب منها غرق فرعون قال المقريزي في خططه وقد عرف بهذا البحر وذكر في تفاصيله وان مبدأه من البحر الكبير المحيط بالأرض المسمى ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر أهواله >> [2]

من القصص الشائعة كثيرا غرق فرعون. قيل أنه كان في مدينة القلزم مكان يستريح فيه الحجاج من طريقهم الشاق لمكة، و كان ينسب إليها البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه بعد ملاحقتهم لسيدنا موسى عليه السلام و أصحابه .

[1] الرحلة، ص 578.

[2] الرحلة، ص 380.

- **قصة صوت الطبل**

حيث ذكر أنه << قد قيل أن صوت الطبل الذي وقع به النصر للنبي صلى الله عليه وسلم يضرب هنا ويسمعه من خصه الله بتلك المزية العظمى وقد سمعته في الحجة الأولى وفي الثانية وهذه على شك إلا أن بعضهم يقول هو حوافر الدواب تضرب بأرجلها فتسمع كالطبل وقال بعضهم الريح تهب وتلتقي مع الأجرام الخاوية فيردها حائط الجرم فيسمع صوتها كالطبل وهذا من تأويل المروج استبعادا لأن يبقى صوت الطبل إلا الآن إعجاز لقدة الإله بل ذلك سائغ وواقع غير مستبعد وهو من معجزات صلى الله عليه و سلم الباقية إلى الآن >> [1]

وهو مكان في طريق الحجاج لبيت الله الحرام، كلما مروا به سمعوا صوت للطبول ولم يعرفوا مصدره الأصلي، وقيل فيه قصص كثيرة أولها المارة وأخذهم الفضول لمعرفة الحقيقة لكنهم فشلوا في تقديم حقيقتها.

- **قصة بناء الإسكندرية**

تعددت قصص بناء الإسكندرية نذكر منها : << و أخرج أن ذا القرنين لما بنى الإسكندرية رخامها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام و لم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام وإذا كان القمر أدخل الرجل الذي يخيط بالليل ضوء القمر في بياض الرخام الخيط في حجر الأبرة وكانت الإسكندرية بيضاء تضيء بالليل و النهار >>[2] .

شكل بناء مدينة الإسكندرية كثير من القصص، انتشرت وتناقلت عبر الأجيال، ومنها بناء ذا القرنين لهذه المدينة وأراد أن يبدع فيها عن ما كانت عليه من قبل، حيث كان بناؤها بالرخام الأبيض وحدد لون الأسود والأحمر للباس لكي لا يعكس لون الرخام.

---

[1] الرحلة، ص 441.

[2] الرحلة، ص 649.

خاتمة

في نهاية بحثنا يمكن القول أن الرحلة الورثيلانية من أهم الرحلات الجزائرية والمغربية في العهد العثماني، فهي رحلة حجية تسجل زيارة أماكن مقدسة وكيفية أداء فريضة الحج، ووصف الأمكنة والمعالم الدينية والتاريخية وذكر الأولياء الصالحين والمشايخ والعلماء والفقهاء، هذه الرحلة غنية بمعلومات يقتدي بها القارئ في حياته اليومية أو حتى عند زيارته لبيت الله الحرام، وعالجت قضايا كثيرة منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إصلاح ذات البين، الانتباه إلى عاقبة المعاصي و غيرها.

و بعد هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي :

- أدب الرحلة موضوع شيق، يكشف عن خبايا فكر الرحالة .
- إن أدب الرحلة فن يحوي على الكثير من المعلومات التاريخية والاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها، و تنوع الدوافع للقيام بالرحلة و تكون علمية وتجارية ...
- تناولت الدراسة رحلة حجازية تعد من أهم و أبرز الرحلات الجزائرية في العهد العثماني.
- اكتشاف بقاع جديدة في الأرض لم يسبق زيارتها، و التعرف على العلماء و الفقهاء.
- كتب الورثيلاني مذكراته اليومية، وبعد عودته إلى الديار كتب رحلته مفصلة بأسلوب أدبي، واعتمد على رحلات سابقة منها الرحلة الناصرية و الرحلة العياشية.
- تميزت الرحلة الورثيلانية بوصف واقع عاشه الرحالة وبسرد أحداث كان مشاركا فيها وهو العنصر الأساس في شخصيات هذه الرحلة وفي طريقة السرد.
- رصدنا في هذه الرحلة زيارات عديدة للأولياء الصالحين والأضرحة والقبور، والعلماء، والفقهاء بهدف التعريف بهؤلاء الأعلام و العلماء.
- ركز الرحالة على وصف الطبيعة الخلابة و طريقة بناء المدن و المساجد، ووصف العادات والتقاليد السائدة في مختلف البلاد التي مرّ بها أثناء رحلته خاصة في تونس وليبيا ومصر.
- جمع الورثيلاني في رحلته أجناسا أدبية متنوعة، الشعر و القصة، الأمثال والحكم وغيرها التي أعطت بعدا فنيا للرحلة.

- عمل الوصف في الرحلة على تعريف الشخصيات والأماكن التي صادفها الرحالة.
- اعتمد الكاتب في وصفه على الدقة والتركيز في ذكر التفاصيل الخاصة بالمكان والشخصيات بغية أخذ صورة دقيقة عن هذه الموضوعات.

وفي الأخير أتمنى من الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وما هي إلا محاولة متواضعة عرضت فيها عملي، وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أولا المصادر:

- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة 1، القاهرة 2008.

ثانيا المراجع :

- ابن المنظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مج 11، د الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 1، 2003.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، ج2،1979.
- أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع أبوظبي، ط 1، 2006.
- د. أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.
- د. أبو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.
- أبو القاسم محمد الحنفاوي، تعريف الخلف يرجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر ، ج2.
- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، منشورات الاختلاف، ط3، الجزائر 2003.

- د. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط 2، بيروت لبنان، 1983.
- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، شركة الأمل للنشر والطباعة، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة أبريل 2002.
- د. صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأ المعارف الإسكندرية 1982.
- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006.
- عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، ناحية التحصيل، الطبعة الأولى، د المعارف، 1986.
- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2003.
- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، د/ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، ديسمبر 1998.
- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية.
- عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، دار هومة، الجزائر، 2014.
- قسومة الصادق، النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، دار الجنوب، تونس 1992.

- محمد بن عثمان المكناسي. تحقيق د/ محمد الفاسي، الإكسير في فكاك الأسير، الرباط 1965
- د. ناصر عبد الرازق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعة المصرية- مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى، مصر، 1995.

ثالثا الرسائل الجامعية :

- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، نوقشت بجامعة بسكرة 2015.
- مفاتيح نادية، آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، نوقشت بجامعة ورقلة، 2017.

رابعا المقالات:

- صباح إبراهيم، الزمان والمكان في النظرية النسبية لإنشتاين، الحوار المتمدن- العدد:3918- 21/11/2012.

الفهرس

الفهرس المحتويات

المحتوى

كلمة شكر	
إهداء	
المقدمة	أ
تمهيد : مدخل عام حول الرحلة	
1- الرحلة لغة و اصطلاحا	5
2- مفهوم أدب الرحلة	6
3- أنواع الرحلة	7
4- خصائص الرحلة	9
5- أهم الرحلات الجزائرية	10
الفصل الأول : مضامين رحلة الحسين الورثيلاني.	
1- التعريف بالرحلة الورثيلانية و صاحبها.	12
2- وصف الآثار المادية في الرحلة (العمران).	16
3- ذكر الأولياء الصالحين و وصف الأضرحة .	20
4- وصف العادات و التقاليد.	22
5- وصف المدن و القرى.	34
الفصل الثاني : البناء الفني رحلة الحسين الورثيلاني.	
-لغة الرحلة	32
طريقة سرد الأحداث	33
الوصف	33
وصف الشخصيات	34

1- وصف شخصيته (وصف شخصية الحاج)	34
2- وصف الشخصيات الأخرى	36
2-1- العلماء و الأولياء	36
2-2- رفيق الرحلة	37
2-3- وصف قطاع الطرق	38
الزمان و المكان في الرحلة	39
زمن الرحلة	39
زمن الذهاب	40
زمن الأداء	42
زمن العودة	42
الاسترجاع	43
الاستباق	45
المكان في الرحلة	46
المكان الأصلي (الانطلاق)	46
المكان الآخر	47
المكان الإيجابي	48
المكان السلبي	49
المكان الهدف (الوصول)	49
تداخل الأجناس الأدبية	51
الشعر	51
الحكم و الأمثال	56
توظيف القصة التاريخية	58
الخاتمة	61

قائمة المصادر و المراجع	64
فهرس المحتويات	68
الملخص	

الملخص

نحاول في هذه البحث الكشف عن المضامين والبناء الفني في الرحلة الورثيلانية الموسومة " بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" تبعا لخطة تكونت من: مقدمة ومدخل وفصلين، أما الفصل الأول: مضامين رحلة الحسين الورثيلاني، والفصل الثاني: البناء الفني في رحلة الحسين الورثيلاني، وخاتمة تضم جملة من النتائج المتوصل إليها خلال البحث منها: تناولت الدراسة رحلة حجازية تعد من أهم وأبرز الرحلات الجزائرية في العهد العثماني، رصدنا في هذه الرحلة اهتمام الكاتب بزيارة الأولياء الصالحين والأضرحة والقبور، والعلماء والفقهاء، كما جمع الورثيلاني في رحلته أجناسا أدبية متنوعة، الشعر، القصة، الأمثال والحكم وغيرها التي أعطت بعدا فنيا للرحلة.

الكلمات المفتاحية:

الرحلة، الوصف، مضامين، البناء الفني.

Résumé

Nous essayons dans cette approche de relater le contenu et les supports du parcours d' EL WARTHILANI , dénommé " visite dans la vertu de l'histoire et la science et des nouvelles" . Nous avons suivi une ligne de conduite composée: d'une introduction, d'une préface , et de deux chapitres: le premier chapitre consacré au contenu du voyage de Houcine ELwarthilani. le deuxième chapitre consacré à la construction du contenu ethnique de Houcine Elwarthilani la conclusion comprend un ensemble de résultats auxquels nous sommes parvenus à travers la recherche.

- Elle a démontré que le voyage au hijaz a été le plus prestigieux voyages Algériens durant l'ère Ottomane . nous avons démontré durant ce voyage que les visites aux nombreux Oualis essalihine , les tombeaux et sanctuaires ainsi que les visites aux savants foukaha et oulama . Ainsi durant son voyage El Ouertilani a regroupé des genres littéraires diversifiés poèmes, histoire, proverbes et jugements etc qui ont donné au voyage sa dimension artistique.

Les mots clés :

Voyage . Description. Sommaire. Dimension Artistique